الفصل الثامن

عبدالعزيز آل سعود والإخوان

دراسة تحليلية(*)

محمد رفعت عبدالعزيز

وصف الملك عبدالعزيز آل سعود حركة الإخوان التي قضى عليها بأنها "أنقى حركة دينية معاصرة". هذه المفارقة ما بين بناء وهدم ، تحتاج إلى وقفه ، خاصة وأن الباني هو الهادم، وأن فخره مازال(١) أنه للدين خادم. نحن إذن أمام إشكالية خاصة – في الظاهر على الأقل – داخل الإشكالية العامة : الدين والدولة؛ توافق أم صراع.

هذه الإشكالية – أو قل المفارقة – جعلت البعض يرى في حركة الإخوان أعظم إنجاز حققه ابن سعود ، وأكبر فشل في تجربته ، وأنها العنصر الأكبر في مأساة محاولته للحل الإسلامي ، وأنها أكبر ظاهرة تستحق اهتمام الدارسين والمهتمين بمستقبل العرب والحل الإسلامي ، وهى القضية التي تعرضت لإهمال المؤرخين ، ولأكبر حملة تشويه في التاريخ السعودي(٢).

(*) في القضايا التي تختلف فيها الرؤى والتفسيرات لاختلاف الاتجاهات والتوجهات ، يفترض في الدراسة التحليلية أن تمرق مباشرة إلى هدفها : " الحقيقة " ، دونما التفات إلى تفاصيل صغيرة ليس لها دلالات كبيرة ، أو كتب كثيرة تمثل إضافات صغيرة ، ودونما إلزام– أو التزام – بالعودة الى البدايات ، إذ يفضل ذلك الوقوف حيث انتهت الدراسات المشكلة أو المتشكلة بهذه الأتجاهات . وتوضيحا نقول : إن ثلاث دراسات هامة اعتمدنا عليها – وتناولت أزمة الإخوان " السعوديين " – إنما اعتمدت على نفس الوثائق البريطانية ، ومع هذا فقد تبنت مواقف متباينة ، مما يؤكد أهمية الدراسة التحليلية ، وأهمية أن ترجع – أي الدراسة التحليلية – بين الحين والحين لبعض هذا ، إذا ما بدا من هذا البعض استعجال ، أو اختلف الاستدلال ، ويفترض في الدراسة التحليلية – أيضا – أن تختصر الطريق إلى هدفها تقطعه ، وأن تحيل إلى " الهوامش " تحقيقا للاتصال ما يقطعه .

(١) نقصد –مباشرة – تفضيل فهد بن عبدالعزيز آل سعود لقب خادم الحرمين الشريفين على لقب الملك ، أو على الأقل سبقه له .

(٢) محمد جلال كشك : السعوديون والحل الإسلامي . ط٣ (١٩٨٢). ص ٥٥١.

(٣) هناك اتفاق على أن الهجر جمع هجرة، وأنها مشتقة من الهجرة الأولى من مكة إلى المدينة.. أو من دار الكفر إلى دار الإيمان ، ولذلك أطلق عليها البعض "دار الإسلام". انظر:

Rentz, George : King Abdul Aziz and the Ikhwan, Imam Mohamed Ibn Saud Islamic University , History of King Abd Al-Aziz . December 1985.P.3.

وفى الدولة السعودية الأولى مثلت الدرعية – عاصمة آل سعود – دار هجرة، فيذكر ابن غنام أن شيعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تسللوا إليه، ومعهم أناس ممن حولهم من البدو. كذلك قامت "الدرعية" بتهجير رعاياها إليها، حين أحست بالخطر عليهم. فلما تمكنت الدرعية من نجد، عاد المهاجرون والمهجرون من حيث أتوا، فيما يشبه الفتح "فتح مكة". (انظر: =

فمن هم الإخوان؟ وكيف انتظموا في الهجر؟[٣]

يذكر الأمير مساعد بن عبد الرحمن أخو الملك عبدالعزيز آل سعود أنه "لما ظهرت حركة الإخوان كردة فعل طبيعية للمناخ الحركي الذي أثارته عودة البيت السعودي إلى نجد، والجذور المتأصلة للحركة الوهابية في تربة نجد، أن بدأت جماعات من العظيمات من حرب، وبنى عبدالله من مطير، تهاجر إلى منطقة ما بين حايل والقصيم، وشجعهم عبدالعزيز، ثم عقد اجتماعا حضره الإمام عبد الرحمن بن فيصل (والده)، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف (آل الشيخ)، والشيخ حمد بن فارس، وعبدالعزيز بالطبع، جرى فيه بحث هذه الحركة، وإمكانيات تطويرها ، وقد اقترح الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ألا يترك هؤلاء في "هجر" خاصة معزولة في البادية ، بل أن يشجعوا على سكنى القرى والمدن. إذ خشي أن تصبح لهم عصبية خاصة ، ولكن المجتمعين لم يأخذوا بوجهة نظره التي ثبتت صحتها فيما بعد"[١].

وبصرف النظر عن صحة هذا الرأي أو ذاك، وحتى دون التوقف عند نصيحة عبدالله بن جلوي –حاكم الاحساء– لابن عمه الملك بألا "يضع يده بعش الدبابير"[٢] فقد كان على ابن سعود أن يطور هذه الحركة التي طرأت على نجد، لماذا؟

الجواب يكمن — عند البعض – في طبيعة البدو أو البداوة !

فيصف أمين الريحاني[٣] البدو بأنهم "غزاة — عصاة — عتاة — لهم غريزة دينية غزتها الخرافات.. ومطامع تكاد تنحصر بالأقوات.. لا يوالون طويلاً، ولا يعادون طويلاً.. سيف في يد الأمير اليوم، وخنجر في ظهره غدا.. مجاهدون إذا

=ابن غنام: تاريخ نجد ط ٣، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ج ١، ص ٨٠ وما بعدها. وانظر أيضا، محمد رفعت عبدالعزيز: معارك توحيد نجد تحت الدولة السعودية الأولى، حولية الدراسة الآسيوية، جامعة الزقازيق، العدد الأول ١٩٩٧، ص ص ٦٤-٦٥.
أما تسمية الأخوان فتعود إلى مؤاخاة الرسول الكريم (ص) بين الأوس والخزرج بعد طول عداء، ونزول الآية الكريمة "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" فملأ آخى الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار، أصبح المسلمون إخوانا.
على هذا فإن أنصار الدعوات السلفية – مثل الدعوة السنوسية مثلاً – كانوا يطلقون على أنفسهم لفظ الإخوان. انظر، عبدالله بن محمد الشهيل: فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، الرياض، ١٩٨٤، ص ٨٢.

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦٨٨.
(٢) جون حبيب : إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبدالله بن مصلح النفيعي ، الرياض ١٩٩٦، ص ١١١.
(٣) في كتابه : تاريخ نجد وملحقاته ، ط٣ ، بيروت ١٩٦٤،ص ص٢٥٨-٢٦٠.

قيل غنائم ، متمارضون إذا قيل الجهاد "[1].

وإذا ما ربطنا هذا بالتاريخ السعودي، لوجدنا – في الصورة العامة – انفضاضا عن الدولة السعودية، في دوريها الأول والثاني؛ بالوعد أو الوعيد[2]، وابتعادا في أول الدور الجديد، حتى أن عبدالعزيز آل سعود استرد الرياض ببضع عشرات من الرجال بالكاد[3].

بان المنطلق – إذن – في تأسيس الهجر ، وتنظيم الإخوان ، ومع هذا فقد انطلق أغلب الراصدين في اتجاهات متباعدة توجهها توجهات متعارضة .

ففي دراسة سعودية – حصل بها صاحبها[4] على جائزة الملك فيصل العالمية – تتقلص حركة الإخوان، أنقى حركة دينية معاصرة، كما قال ابن

---

(١) في هذا الإطار يضيف أحمد عبدالغفور عطار: "إن الشر والاحتدام والقتال كان في عرف البدو مثلا رفيعا.. فالقوى من زاد قتلاه، وكثرت منهوباته، وتعددت غزواته". (انظر، أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ط٥ ، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩، ص ٤١٢). وأنظر ايضا ، عبد الرحمن نصر : عاهل الجزيرة ، بدون تاريخ ، ص ٩١.
يؤكد ما سبق ماروي عن على بن رشيد (الذي أسس ولداه إمارة آل رشيد) من أنه كان تقيا ورعا ، وشجاعا في آن واحد . ولكن ورعه وتقواه يمنعانه من أن يشارك رجال قبيلته شمر في الغزو والنهب ، كما أن تقاليد مجتمعه تفرض عليه ألا يشذ عن بنى قومه ، وفي إحدى الغزوات التي شنتها قبيلته على بطن من بطون القبيلة ، يقال لهم " الجحيش " ، كان في مقدمة المهاجمين ، إلا أنه لم يشارك رفاقه في الغنيمة . وعندما سأله قومه عن عدم قبوله للغنيمة ، على الرغم مما شاهدوه منه من شجاعة وإقدام ! قال لهم " إنني أخاف الله من أن أستحل مال أخي العربي المسلم ، وحينما سألوه ثانية : لماذا يشاركهم في الغزو ما دامت هذه عقيدته ؟ قال : " أخشى ألا أجد منكم من يتزوج بناتي .. كما أخشى ألا يجد ولداي عبدالله وعبيد من يقبل مصاهرتهما ".(انظر فهد المارك : من شيم الملك عبدالعزيز .ج٣. الرياض ١٩٧٨،ص ص ١٦٤-١٦٥).
– أيضا ، فإن الأمثال السعودية عكست هذه الحالة ، منها " مقابلة الجيش ولا مقابلة العيش "و" الإبل ما يجيبها إلا الأحمرين .. الدم والذهب " و " رزقي على الحاج ورزق الحاج على الله ". أنظر ، محمد رفعت عبدالعزيز : الأمثال مصدرا لدراسة التاريخ، قراءة في التاريخ السعودي والتاريخ المصري . القاهرة ١٩٩٩.ص ص ٢٣-٣٦.
(٢) لأن محمد على اشترك في إجهاض الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ، ما زالت الأمثال النجدية تذكره ، فيقولون " ما ياجد (لا يجد) ولا قرش محمد على ". وفي المثل ما يوحي بوسائل إقصاء البدو عمن يوالون ، ببريق الذهب قبل بريق السلاح ، وهو الوضع الذي كان على ابن سعود أن يتفادى تكراره مستقبلا ، أو ربما يطبقه بنفسه – لنفسه – مستقبلا، أو يطبق الأسلوبين معا ، مادامت غايته نبيلة وهي تكوين الدولة الإسلامية . انظر محمد بن ناصر العبودي : الأمثال العامية في نجد ، الرياض ١٣٩٩هـ (حرف الميم).
(٣) خير الدين الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، ط٥ ، بيروت ١٩٨٨، ص ص ٢٥-٢٦.
(٤) عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعي ، الرياض ١٩٧٦.

سعود، إلى حركة توطين.. لا أكثر، أو على الأكثر حركة إصلاح اجتماعي. .

وتأكيداً على التوطين — أو المشروع الزراعي كما يتهكم البعض-[1] ولأن ذلك غير حقيقي، كما يدرك "أبوعليه" بيقين ، فقد اعتراه التناقض، فهو يفرق بين فكرة توحيد البدو التي كانت في عهد السلفيين الأوائل ، على شكل ديني وسياسي وبين التوطين على عهد ابن سعود[2]، ويسوق عوامل عدة ساعدت على نجاح "مشروع الملك عبدالعزيز"، منها الحماس الديني الموجود عند البدو

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٥٩. جدير بالذكر أنه بعد عشر سنوات من إصدار كتاب الإصلاح الاجتماعي، يصر " أبو عليه " على " المشروع الزراعي " ، ويقول " تجمع معظم المصادر التاريخية على أن تأسيس أول هجرة زراعية في البلاد العربية السعودية لإسكان البدو فيها كانت عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م ، وأن أول هجرة زراعية كانت هجرة "الأرطاوية". بعدها ، يذكر – متناقضا – أن مشروع التوطين ونجاحه في الجزيرة العربية قد أوجد أقوى قوة عسكرية في جزيرة العرب .
أنظر ، عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر . الرياض ١٩٨٦، ص ص ٢٨-٣٠.

(٢) تذهب بعض الدراسات مذهب أبى عليه وترى أنه شئ معجز " أن يتصدى شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره -تقصد ابن سعود – ولم يكتب له أن يعكف على دراسات اجتماعية، إلى محاولة جديدة في تبديل أسس الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعه، وعلى نحو لم يسبق له مثيل في بلده عبر العصور المختلفة والأجيال الطويلة ، دون أن يصل إليه علم محاولات مماثلة في أي ناحية من نواحي الأرض " . انظر ، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود : الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت ، جدة ١٩٨٢، ص١٧٦.
ويرى البعض الأخر أن ابن سعود حل مشكلة البدو والبداوة بطريقة جديدة لم يسبقه إليها أحد من ملوك العرب قديما أو حديثا . انظر ، أمين الريحاني : المرجع السابق ، ص٢٦٠ .
ونحن نعتقد أن السنوسين قد سبقوا ابن سعود بحوالي ثلاثة أرباع القرن – وتحديدا عام ١٨٣٧- في تأسيس الزوايا التي اضطلعت بنفس الدور الذي قامت به الهجر ،كما أطلقوا على ساكنيها اسم "الإخوان" فواحة جغبوب قبل إنشاء زاوية سنوسية بها كانت " واحة ملحة يأوي إليها اللصوص ، ولا تجرؤ القوافل أن تمر بها من جراء العبث في أنحائها ، فلما بنى بها السنوسين الزاوية صارت " مهد أمان ، ومركز عبادة ، ومشرق أنوار ، ومعلم هداية ، فغرسوا بها الأشجار ، ونسقوا الجنان واستنبطوا العيون ، وتوسعوا في البناء . وتأسست مدرسة لتخريج مريدي الطريقة ، أجلس للتدريس فيها أجلة العلماء . وكان السنوسيون يختارون لأغلب زواياهم أجمل البقاع ، وأخصب الأرضين فأنشأوها ، حيث توجد الآبار ، ذات المياه الوفيرة ". وإذا ما عرفنا أنه " كان من الواجب على كل فرد من الإخوان – في الزوايا – مادام قادرا وغير عاجز أو مشغول – أن يكون مستعدا للطوارئ متهيئا للحرب منتظرا للأمر منفذا له ، بكمال طاعته " لأدركنا أن الهجر السعودية كانت متشابهة إلى حد كبير – تكوينا ودورا – مع الزوايا السنوسية .ونتصور أن تأثر ابن سعود بتجربة السنوسين يمكن أن يكون قد تم من خلال : –
أ- أن أول زاوية للسنوسيين كانت في جبل أبى قبيس بمكة عام ١٨٣٧.
ب- بدءا من عام ١٨٣٧أسس السنوسيون الكثير من الزوايا في كثير من البلدان العربية والأفريقية ، وفي مقدمتها البلاد السعودية.
ج- ذيوع خبر هذه الزوايا وتنظيماتها من خلال مواسم الحج والتقاء الحجيج .
د- الدور الذي قامت به الزوايا السنوسية في مدافعة الإيطاليين بدءا من عام١٩١١، وهو أمر لم يكن بعيدا عن مسامع عبدالعزيز آل سعود ، بدليل أنه عرض إرسال قوات من نجد=

نجاح "مشروع الملك عبدالعزيز"، منها الحماس الديني الموجود عند البدو البسطاء ، وإرشاد العلماء الدينيين والمطاوعة ، ونجاح ابن سعود في غرس فكرة بيع القبائل " لجمالها " التي هي رمز البداوة ، وكثرة عطايا ابن سعود لشيوخ القبائل والبدو ، وملل البدو من حياة الترحال وربطهم بملكية الأرض، ومرونة نظام ابن سعود الخاص بالتوطين حيث سمح لكل قبيلة كبيرة أن تبقى قسما من أفرادها في الصحراء يعملون في الرعي ، وأما الباقون فيرسلون إلى الهجر للقيام بالأعمال الزراعية .

أما أهم العوامل عنده — بدليل إيراده كأول عامل ، وكما قال بالحرف الواحد — فهو؛ " سذاجة البدو وعاطفتهم ، حيث أنهم يصدقون كل شئ ويندفعون في سبيل تحقيق ما يعتقدونه اندفاعا قويا ، وهذا ساعد على نجاح مشروع الملك عبدالعزيز الذي استفاد من طبيعة البدو هذه ، فاستخدمها لتحقيق أهدافه في تأسيس دولته الكبيرة في الجزيرة العربية "[1].

والمتتبع لدراسة أبو عليه يلحظ اختلافاً في ترتيب أهداف التوطين عنده — ما بين دين وسياسة وعسكرة واقتصاد واجتماع وثقافة — ما بين فقرة وأخرى . كما أن ربطه بين التوطين (الاستاتيكي) في الهجر وحركة الإخوان (الديناميكية) يمثل تناقضاً، يفضحه إقراره باستغلال ابن سعود لسذاجة البدو في تحقيق أهدافه — كما رأينا — وهو ما ينقله، فعلياً وليس ظاهرياً، من جانب التوطين، ويجعلنا نتحرك إلى الجانب المقابل حيث يرفض البعض التوطين رفضاً تاماً، ويرفع التجربة إلى مستوى التطبيق العملي الوحيد لشعار الثورة المسلحة ، ويرى أن هدف أنصار التوطين هو حرمان الشعوب العربية والإسلامية من دروس التجربة ، حتى لا تتكرر عملية التحرير ، ويدلل بأن القوى المعاصرة للحركة لم تنظر إليها أبدا كحركة تمدين وتوطين ، وتحسين لأخلاق البدو . بل فهمتها على الفور على أنها حركة ثورية تهدد كل تركيبة المنطقة[2].

هكذا تتباين الاتجاهات[3] وما بين "استاتيكية" و"ديناميكية" وسكون وثورية،

=لمساعدة المجاهدين الليبيين . انظر ، محمد رفعت عبدالعزيز : العلاقات المصرية – الليبية، رسالة دكتوراة غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . جامعة القاهرة ١٩٨٦.ص ٢٧.

(١) عبدالفتاح حسن أبوعليه: الإصلاح الاجتماعي ، ص ص ١٤٣-١٤٦.

(٢) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٣) وقد يتناقض البعض مع نفسه فيجمع كل الاتجاهات رغم تباينها ، ففي دراسة عن "العلاقات بين عبدالعزيز ابن سعود وجماعة الإخوان" نجد الإخوان في الهجر جماعة أراد=

يبرز منطلق ثالث يرفض التوطين لما قد يغفله، ولا يأبه بالدين وما قد يفعلـــه، ويرد الأمر إلى محض سياسة، فيقرر جون حبيب أن تكوين الإخوان بني لخدمة طموحات ابن سعود السياسية والعسكرية في باقي شبه الجزيرة العربية، وحتـــى يبدو هذا صحيحاً، فقد رغب في إخفاء هذا التطور عن الإنجليز لأطـــول فـــترة ممكنة بسبب دعمهم للشريف حسين، وإخفاء النمو الســـريع للقـــدرة العســـكرية للإخوان يخدم جيداً غرض ابن سعود[1].

ويذهب عبد الكريم أبا الخيل نفس المذهب ، فيقرر – هـــو الآخـــر – أن تأسيس فرق الإخوان كان يرمي لغايات سياسية وأغراض حربية لتكـــون قـــوة لابن سعود يكسب بها معاركه الحربية[2]. بينما لم ير محمد أسد – وهـــو أحـــد رجال الملك – في حركة الإخوان إلا وسيلة لبلوغ ابن سعود القـــوة واســـتتباب الحكم[3].

وبنظرة سريعة على هذه المنطلقات – أو الاتجاهات – الثلاثـــة لإنشـــاء الهجر وتنظيم الإخوان، نستبعد مجرد التوطين كهدف أولى، وذلك لما يلي:

١– إضافة لإشارات دالة فيما سبق ، فإن التسمية توحي بالهدف ، ولـــو كـــان الأمر توطينا لتغير الاسم – ربما – إلى مستوطنة ومستوطنين ، أو قريـــة

=عبدالعزيز بن ســـعود أن يطـــور أوضاعـــهم الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة (ص ص ٥٢–٥٣).بعدها تؤكد نفس الدراسة أن عبدالعزيز بن سعود " قضى أياما طوال لإقنـــاع العلمـــاء بفوائد إنشاء جماعة تجمع الرابطة الدينية بينهم ؛ وتكرس هذه الجماعة لخدمة العقيدة ونشـــرها في أنحاء نجد أولا ، ثم في أنحاء الجزيرة أخيرا (ص ٥٦) .ثم تخلط نفس الدراســـة الديـــن والسياسة، وتقرر " أن ما كان يقوم به الأخ – مفرد الإخوان – كان في نظره هدفا ونتيجـــة ، وهو خدمة الله وخدمة ابن سعود الذي يعطى لهم ما يحتاجونه ، وقد أصبح عليـــهم حمايتـــه أيضا ، فهم أشبه ما يكون بالفرق العسكرية وعلى استعداد دائم لتلبية نداء القتـــال (ص ٧٠) . ويتبدل الوضع ما بين صفحة وأخرى في نفس الدراسة إلى أن تصبح الهجر بكافـــة ســـكانها مقاتلين وجيشا ثابتا لابن سعود (ص ٦٨) .وتصبح الهجرة في جوهرها ثكنة عســـكرية (ص ٦٥) . بل إن الصلاة –ذاتها – تأثرت بهذه " العسكرة " حيث تظل البنادق مرافقة للإخـــوان على الدوام داخل المسجد استعدادا لأي طارئ (ص ٧٢) . بل أن الدراسة كادت أن تعترف بهذا التناقض ، عندما سألت : " ولكن هل هم حقيقة من الناحية النفسية كانوا دعـــاة للتوحيـــد (ورسل) للسلام ؟، أم أنهم رسل للقتال والحرب ؟ وكان الجواب الذي أراح صاحب الدراســـة ولم يرحنا :" وفي اعتقادنا أنهم كانوا كل هذه الصفات جميعا (ص٥٨) . انظر ، عبد العليـــم على عبدالوهاب أبو هيكل : العلاقات بين عبدالعزيز بن سعود وجماعة الإخـــوان (١٩١٢–١٩٣٠) رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٧٦، ص ص ٥٢–٧٢.

(١) جون حبيب : المرجع السابق ص ١٣٩.
(٢) عبد الكريم أبا الخيل : العربية السعودية .. الكتاب الأول ، بغداد ، ١٩٥٣، ص ١٨٧.
(٣) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦١٣ .

ومزارعين ، أو مجاورة – لبئر الماء – ومجاورين ، أو مستعمرة — من التعمير — ومستعمرين ، أو تجمع أول .. أوثان .. أو ثالث . أما أن تكون هجرا وإخوانا ، فذلك أمر آخر غير مجرد التوطين .

٢- لم تكن الهجر – كما يذكر من عرف التجربة مباشرة –[١] هجرا زراعية بمعنى حقيقي ، وإنما كانت وحدات سكنية ، بناها البدو حول بئر ماء ، وبجانبها مسجد ، وكان جل اعتماد البدو على عطايا الدولة .

٣- لو أن خطة إعادة تأهيل البدو وضعت بوساطة ابن سعود إيثارا لمساعدة البدو دينياً واقتصادياً ، فالمرء يتوقع منه أن يجذب الانتباه إليهم ، عندما يتحدث مع الأجانب ، وهو في الحقيقة لم يذكرهم ، وحينما كان يتحدث للريحاني كان يفضل أن يناقش مواضيع بعيدة عن موضوع الإخوان[٢].

٤- أشار بعض الرحالة الأجانب إلى مساكن الإخوان حول آبار المياه ، أما زراعاتهم فكانت أسوأ ما رأوا في حياتهم ، أكثر من ذلك فقد ذكر بعضهم أن أهالي " البتراء" كانوا يشكون من أن بلادهم كانت تعج بأشجار النخيل قبل مجيء الإخوان[٣].

نستبعد التوطين إذن ، ونستبعد كذلك حركة إسلامية تحررية ، ترفع راية الإسلام إلى حيث تستطيع وحيث لا تستطيع . فرفع راية الإسلام إلى حيث لا تستطيع مرفوض — في ذهن ابن سعود على الأقل — إذ ذهب هذا الطموح مع الدولة السعودية الأولى ، ورفع راية الإسلام إلى حيث تستطيع مفروض في ذهن الإخوان وابن سعود .. لقد بقى هذا من الدولة السعودية الأولى .

أما الاتجاه الثالث الذي يربط بين الإخوان وتحقيق مجد ابن سعود في استرداد ملك آبائه وأجداده ، والذي يحاول أن يجرد العامل السياسي عند ابن سعود من أي أهداف دينية ، ويصم — بالتالي- ابن سعود بالانتهازية ، فنرفضه لما سبق وقلناه من أن جماعات من "حرب" ومن " مطير" هي التي بادرت إلى الهجرة ، وإنشاء الهجر بشهادة أخي الملك ، ولما سببه انكباب سكان الهجر في بداية التجربة على العبادة من إزعاج لابن سعود فأرسل إليهم "مطاوعته" ليعيد

---

(١) ذكر ذلك الشيخ حمد الجاسر ، شيخ المحققين السعوديين ، لأبى عليه في مقابلة تمت بينهما في تاريخ لم يحدده الأخير .انظر ، عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعي ، ص ١٤٤.

(٢) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ٣٩.

(٣)محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٧٧.

الأمور إلى نصابها.

ونتفق مع صلاح العقاد في أن لفظ "الوهابي والنجدي كانا يستخدمان أحيانا للدلالة على معنى واحد"[1]، ونسوق – نحن – للدلالة قصة ذكرها الزركلي تعكس هذه الحالة.

في وقعة الشنانة[2] مع آل رشيد المدعومين من الأتراك، وبينما كان عبدالعزيز بن سعود يشرف بمنظاره على المعركة، دنا منه اثنان من رجاله، أحدهما محمد أبو شيبة رئيس بلدة "الحوطة"، والثاني ابن له، فقال أبوشيبة: ملذا تنتظر هنا ؟ لماذا لا نمشي ونهاجمهم ؟ فأشار إليه عبدالعزيز أن يتريث ولا يعجل .. فما كان من أبى شيبة إلا أن علق بندقية برقبته ، واستل سيفه ومشى ، وهو يقول لابنه : هذا عبدالعزيز يدور الدنيا (أي يعمل للكسب) ونحن نبي الجنة (أي نبغيها) وتابعا سيرهما راجلين ، فاخترقا مرامي الرصاص ، والمعركة دائرة ، وأدركا بيوت حرب ابن رشيد ، فقطعا أطنابها بسيفيهما . وما شاهد السعوديون " البيوت" تسقط حتى هجموا ، وفي مقدمتهم عبدالعزيز[3].

هذا مثال لما فعله الدين في هذه الفترة ، وذلك المكان ، وبعد عقد من الزمان ، أنشئت الهجر وانتظم الإخوان ، وتشكل واقع جديد يقوده ابن سعود ، أو يحركه الإخوان ، فيرضى به ويتعهده ، أو يتغاضى عنه ولا يرفضه .

وبين المفروض والمرفوض ، والاستطاعة وعدمها ، وقف ابن سعود بين السياسة والدين ، قويا بهما ، مضغوطا بينهما ، هادفا إلى دولة دينية– وليس حركة – تستلهم تجارب الأجداد ، وتمزج العصبيات في عصبية واحدة ، وتذيب القبائل القابلة للقسمة في سلطة واحدة غير قابلة للقسمة[4]، يتفادى – إلى حين – طرق الأعداء المتنمرين[5]، ويقصر في حدود الدولة عصبية الدين، ويحتزم –

---

(١) صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، الأنجلو ١٩٧٩،ص ٤٧٦.
(٢) كانت يوم ١٨ رجب ١٣٢٢هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤م، أي قبل تنظيم الإخوان في الهجر.
(٣) خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ص ٤٠.
(٤) كان جون فيلبي – الذي بدأ ممثلا للحكومة البريطانية في بلاط ابن سعود وانتهى مستشارا له – أحسن من أدرك أبعاد موقف ابن سعود ، ففي تقرير له سنة ١٩١٧ ، ذكر أن هدف ابن سعود هو إنشاء قوة دائمة قوية في مواجهة أي عدوان أجنبي في المستقبل ، مع رغبة في إعادة إخضاع جبل شمر لآل سعود . أما عن القول بطموحه في توحيد الجزيرة مرة أخرى تحت النفوذ الوهابي ، فلا يمكن أن أقول في هذا الموضوع أكثر من أن ابن سعود يعتبر بريطانيا هي عقبة دائمة لا سبيل لتخطيها ، تعترض تحقيق هذا الحلم ، وهو مهيأ لقبول هذا الأمر الواقع . أنظر ، محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٥٦٨– ٥٦٩.
(٥) كانت المناطق الحدودية ما بين نجد والحجاز مثار نزاع تقليدي بين آل سعود وأشراف=

كعادته — للثعلب بحزام الأسد[1]، ولا يصطدم — أبدا- بالأسد[2]، فهل يدفعه الإخوان؟

لنتابع الآن في نقاط ؛ صعود حركة الإخوان منتبهين ، فقد يكون في سرعة صعودهم سرعة سقوطهم :

١-بدأت أول هجرة في الأرطاوية بخمسين فرداً[3]، وخلال عقد ونصف من الزمان، وصل عدد الهجر إلى ٢٢٢هجرة[4]، وفرت ١٥٠ألف مقاتل، نصفهم يملك رواحل وبنادق، والآخرين يتسلحون بالسيوف والرماح.

٢-كانت الهجر عبارة عن معسكرات عقائدية، شكلها رجال الدين والمطاوعة، وأمدها عبدالعزيز بن سعود بالسلاح والعتاد، وكان جل اعتمادها — كما أشرنا — على أعطيات الدولة.

=مكة منذ الدولة السعودية الأولى . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان كل من ابن سعود والشريف حسين يطمع في أملاك الآخر ،أو في هذه المنطقة الحدودية على الأقل . الأول لأن أهلها يتبعون المذهب الوهابي ،والثاني يؤيده الإنجليز ، حتى أنه رد رسالة لابن سعود – يحتج فيها على دخول قوات الشريف حسين إلى المنطقة الحدودية – دون أن يقرأها ، قائلا للرسول على الملأ : "عد إلى الرياض ، وقل لعبدالعزيز بأن الوقت لن يطول حتى أزحف أنا الحسين إلى نجد لأطرده وأطرد أسرته ، وأقضي على جميع الوهابيين". وللمفارقة ، لم يطل الوقت حتى طرد ابن سعود الشريف حسين وأسرته من الجزيرة العربية ، بواسطة الإخوان الوهابيين . انظر ، بنوا ميشان : عبدالعزيز آل سعود . سيرة بطل ومولد مملكة ، ترجمة عبد الفتاح ياسين ، دار الكاتب العربي (بدون تاريخ) ، ص ١٤٠.
وأنظر أيضا ، خالد الهميل : العلاقات بين الملك عبدالعزيز آل سعود والأشراف ، الرياض ، ١٩٩٣، ص ١٠١.

(١) 'أثر -كثيرا – عن عبدالعزيز بن سعود قوله : أنا أحترم للثعلب بحزام الأسد ، وهو مأخوذ من المثل النجدي " كل للحصيني (الثعلب) كيلة أسد " أنظر ، عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبدالعزيز ، إصدار المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة ، المجلد الأول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٤٦.

(٢) المقصود هنا الأسد البريطاني .

(٣) بعد عشر سنوات بلغ عدد سكانها ٣٠ ألف نسمة . انظر ،
Soomro,A.Dino :The political , social and economic situation during the reign of king Abd Al–Aziz.Imam Mohamed Ibn Saud Islamic University,History of King Abd Al-Aziz . December 1985.P.9.

(٤) اختلف في عدد هذه الهجر . لكن هذا الرقم نتيجة إحصاء دقيق قام به جون حبيب ، حصر فيه كل الهجر كبيرها وصغيرها . وكان أكثر هذه الهجر لقبائل مطير وعتيبة وحرب وشمر والعجمان ، وأشهر ها هي هجرة الأرطاوية والغطغط والصرار ، حيث برز فيها أشهر قادة الإخوان على الترتيب : سلطان الدويش شيخ الأرطاوية ورئيس قبائل مطير ، وسلطان بن بجاد شيخ الغطغط ورئيس قبائل عتيبة ، وضيدان بن حثلين شيخ الصرّار ، ورئيس قبائل العجمان . انظر ، الزركلي : المرجع السابق ، ص ١٠٧.

٣-كان هناك ثلاثة أنواع من التحرك:

أ- الجهاد : وفيه يخرج المحترفون للقتال ممن يملكون رواحل وأسلحة.

ب- الرديف : في حالة الخطر ، يردف كل راكب أحد الإخوان خلفه.

ج- النفير العام : وفيه يخرج للقتال كل من يقدر على حمل السلاح .

٤- كان بروز قوة الإخوان عاملا على تغيير موازين القوى في الجزيرة العربية[١]. يتضح هذا من قول الأمير عبدالله بن الشريف حسين ، مخاطبا ابن سعود: "فما حملك على تغيير لهجتك؟"[٢]

والحقيقة أن تغير "لهجة" ابن سعود جاءت من تجاوزات الأشراف على "الوهابيين"[٣] في المنطقة الحدودية بين الحجاز ونجد ، إضافة إلى إحساسه بقوة

---

(١) تمثلت هذه القوى في الأشراف في الحجاز، وآل صباح في الكويت ،وآل رشيد في حائل، وابن سعود ومن خلفه الإخوان في نجد. وقد حدد-إلى حد كبير - علاقة ابن سعود بهذه القوى وجود الإنجليز والترك في المنطقة. انظر، عبدالعزيز عبد الغني إبراهيم : أمراء وغزاة ، قصة الحدود السياسية الإقليمية في الخليج، بيروت ، ١٩٩١، ص ٩٦، وما بعدها.
جدير بالذكر أن الزركلي يذكر " أن القنصل البريطاني في الكويت (شكسبير) عرض على ابن سعود " وعودا بريطانية " بتمكين العرب من بلادهم إذا أجلوا عنها الترك ، وأن ابن سعود عرض -بدوره -هذه الوعود على جيرانه ، ومنهم ابن رشيد عدوه " اللدود" ، وجاءت الردود متباينة ، فقد أمهله الشريف حسين ليتدبر أمره ، بينما اعترف ابن صباح بتبعيته للإنجليز، أما ابن رشيد فقد أجاب بأن الأتراك " أرسلوا إلى عشرة آلاف بندقية ، وبعد أن أكسرها عليك، وعلى رجالك ، أفكر في الصلح معك ، والقيام على الترك "
وكان رد ابن سعود على عرض شكسبير ...فقيامي معكم ، وجعل رايتي المنقوش عليها (لا إله إلا الله) إلى جانب رايتكم ، أمر غير نافع لي ولا لكم " .انظر ، الزركلي : المرجع السابق ،ص ص٦١-٦٢.
ونحن نرى أن ابن سعود ، وإن لم يفرط أبدا في المبدأ الذي التزم به حيال الأتراك كما ذكر "ما من أحد يحق له أن يكره الترك أكثر مني.. ولكن لن يقال إني طعنت دولة تحمل اسم الخلافة في محنتها" إلا أنه كان حريصا على صداقة الإنجليز ، بل والتحالف معهم بدء ا من معاهدة دارين أو القطيف (١٩١٥) والتي كانت كباقي المعاهدات مع مشيخات الخليج " حماية وتقييدا " ومرورا بمعاهدة المحمرة (١٩٢٢) التي حددت الحدود بين ابن سعود وجيرانه ، وإنتهاءا بمعاهدة جدة (١٩٢٧) وكل هذه المعاهدات لم ترض الإخوان .
(٢) في رسالة بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣٣٧هـ / الموافق ٢٤ مايو ١٩١٨م.
(٣) نشر أمين الريحاني صورة خطابين -بتاريخ ٢٤شعبان ١٣٣٧هـ / الموافق٢٥ مايو ١٩١٨م- من الأمير عبدالله بن الشريف حسين إلى قائدين في المنطقة الحدودية بين الحجاز ونجد، يدعوهما للمثول أمامه والخضوع له. وجاء في الخطاب الأول "فأطفأنا نار الخارجة - يقصد الوهابيين - التي في تربة ، ومزقناها كل ممزق ، وضربنا أعناق أرباب الزيغ والنفاق". وقال في الثاني "ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال وتدمير المال ، بعد أن طغى أهلها وبغوا ، وأنكم يا أهل"رنيه "بدو وحضر ، إن ما كفيتم طوارقكم ، وركبتم إلى في ست ليال مع شريفكم ، وإلا حزمتكم حزم السلم ، وطردتكم طرد غرائب البل (الإبل)،=

جيشه من "الإخوان"، ودافعية هؤلاء لنجدة إخوانهم في المنطقة الحدودية[١].

٥-كانت للإخوان -ربما تأسيا بالصحابة-[٢] أناشيدهم التي كانوا يرددونها مثل:

هبت هبوب الجنة..

وين (أين) أنت يا باغيها[٣]

يا ويل عدو الشريعة منا

أنا فارس الوحدة.. أنا أخو من أطاع الله

ارفع رأسك يا العدو[٤]

أهل التوحيد... أهل التوحيد

إياك نعبد وإياك نستعين[٥]

٦- يرتبط ما ذكرناه من قصة أبوشيبة بما يرويه الشهود من أن الإخوان كانوا لا يهابون الموت ، وأحيانا ما تكون الإصابات بينهم كبيرة ، لاقتحامهم المندفع مواقع الأعداء دون تهيب ،وكان معروفا أنهم يهاجمون المدافع وهي تطلق مقذوفاتها[٦].

=وعاقلكم يعلم جاهلكم ، ولولا مشرى بن ناصر ، وغازي بن محمد ، لكان صباحي يسبق كتابي إليكم". انظر ، أمين الريحاني : المرجع السابق ،ص ص ٢٥٢-٢٥٣.

(١) تحولت الدافعية إلى غضب على عبدالعزيز والإنجليز ، عندما طلب منهم -- بناء على توجيه الإنجليز – أن يغيروا على ابن رشيد .

(٢) قلنا ربما ، لان الإخوان لم يلتزموا " بنشيد الأحزاب" ، الذي وضعه الرسول الكريم ، والذي كان الصحابة يرددونه على نغمات المسير ، في طريقهم إلى المغازي ،وما زلنا نردده نحن المسلمون كل عام مرتين قبل صلاة العيد (انظر عبد اللطيف النشار : الثقافة العسكرية وأناشيد الجيش ، مجلة الرسالة ، السنة السابعة ، العدد ٣٣-١٩٣٩/١١/٢٠، ص ٢١٥٤). =

=ولا نجد تفسيرا لعدم الالتزام هذا ، إلا أن هجمات الإخوان كانت تتم ليلا في الغالب، وتفاجئ العدو في الأعم الأغلب ، وليس منطقيا أن ينبهوا العدو بأناشيدهم إلى وجودهم، لذا وجدنا أناشيدهم عبارة عن صيحات متقطعة تتردد أثناء المعركة ليث الحماس أو ليث الرعب. جدير بالذكر أن للأناشيد دلالتها فإذا ذكر البعض (عبد العليم على عبد الوهاب أبو هيكل : المرجع السابق ، ص ١٢٠) مع فتح ابن سعود للإحساء أن "دوى الرصاص اختلط مع هتاف الإخوان : " أن الملك لله ثم لعبدالعزيز " لاختلفنا معه على الفور – دون تمحيص تاريخي – ولأدركنا أنهم ليسوا إخوان الهجر ، الذين كانت لهم منطلقات أخرى تعبر عنها أناشيدهم .

(٣) معناها : أين أنت يا من تبغي الجنة ، أي تريدها .

(٤) ليس للتفاخر ، ولكن للقطع بالقطع .

(٥) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين . القاهرة ١٩٣٥، ص ٣١٤.

(٦) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ٩٤.

٧- يرتبط بما سبق، أن ميزان المعارك كان يتحرك لصالح الإخوان، رغم قلة عددهم ، ففي معركة "تربة"[١] كان عدد الإخوان ألفين ؛ خمسمائة منهم مسلحون بالسيوف والرماح، والباقي بالبنادق، في حين كانت قوة الشريف حسين سبعة آلاف رجل ، مع عشرين مدفع ميدان ، وأربعين مدفع رشاش ، وذخيرة وعتاد حملوا على عشرة آلاف بعير ، وعمل الشريف خنادق بعمق قامة الرجل وتحصينات ، ومع هذا لم ينج إلا ألف ومائتي رجل ، فر مائتان وانضم الباقي إلى الإخوان[٢].

٨- اتصالا بما سبق ، يذكر أمين الريحاني أنه تقابل مع الشريف عون بن هاشم الذي شهد معركة "تربة"، وحدثه عن هول ذلك اليوم: "رأيت الدم في تربة يجرى كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجاري أظنها والله حمراء.. ومن أعجب ما رأيت يا أستاذ.. رأيت الإخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودوا إلى القتال"[٣]. أيضاً، فقد سمع الأمير عبدالله في "عَمّان" يقول، وقد تذكر الموقعة، "ما زال يرن في سمعي صوت المغيرين ليلة "تربة".. الجنة.. الجنة"[٤].

٩- وعلى ذكر "تربة" من المهم أن نذكر أن عبدالعزيز بن سعود لم يعلم بما فعله الإخوان إلا بعد عدة أيام من حدوثه[٥]. مما يعني أنهم أخذوا - من تلقاء أنفسهم - زمام المبادأة ، وقد كان ذلك أمرا خطيراً ، خاصة وقد تكرر كثيراً بدون إدراك كبير لسياسة ابن سعود ، أحس الإخوان بأن البريطانيين هم عدوهم الحقيقي ، ليس فقط لاختلافهم في الدين ، ولا للمعاهدات التي قيدوا بها قائدهم ، ولكن لأنهم السند الحقيقي الواقف خلف الشريف حسين ، الذي نكل بإخوانهم في المنطقة الحدودية بين الحجاز ونجد . وبعد انتصار " تربة " كان من المفترض أن يفتحوا الحجاز ، لكنهم وجدوا قائدهم - ابن سعود - يعود راضياً إلى نجد . فأدركوا على الفور أن الإنجليز وراء هذا الموقف ، وهو

---

(١) ١٣٣٧هـ/١٩١٩م والتي فاجأ فيها الإخوان قليلو العدد جحافل جيوش الشريف حسين التي رابطت في " تربة " ، بعد التنكيل بأهلها كما وضح من الخطابين السابقين اللذين أرسلهما الأمير عبدالله إلى بعض قادة المنطقة الحدودية.

(٢) هذه التقديرات مأخوذة من وصف عبدالعزيز بن سعود لمعركة " تربة "، انظر ، جون حبيب : المرجع السابق ، ص٩٦.

(٣) أمين الريحاني : المرجع السابق ، ص ٢٥٦.

(٤) عبد العليم على عبد الوهاب أبو هيكل : المرجع السابق ، ص١٣٧.

(٥) ذكرها سعود بن هذلول آل سعود (تاريخ ملوك آل سعود . الرياض ١٩٦١م ، ص٣٢٤) بيوم أو يومين، بينما ذكرها أمين الريحاني (المرجع السابق، ص ٢٥٧) بخمسة أيام.

الموقف الذي سوف يتأكد لهم مع الوقت .

١١- عندما يتلاقى الهدف الديني للإخوان ، مع الهدف الديني والسياسي لابن سعود ، ويقل ضغط الإنجليز ، تكون حركة الإخوان مؤثرة تماما[١] ومن ثم كان تحرك الإخوان نحو "الطائف" - وفي معركة مماثلة لما حدث في "تربة" أحداثا ونتيجة - بداية ضم الحجاز أمام الإخوان ، بحيث يمكن القول أن معركة الحجاز قد كسبت في الطائف[٢].

١٢- أفرز تفوق الإخوان بهذا الشكل الكاسح إيجابا وسلبا . أما الإيجاب فتمثل في شهرتهم التي سبقتهم ، والتي وفرت عليهم وعلى غيرهم إراقة مزيد من الدماء[٣] فعلى سبيل المثال دخلوا مكة محرمين يحملون السلاح ، دون إراقة نقطة دم واحدة. أيضا ، فقد ظلت المدينة وجدة صامدتين للحصار سنة كاملة خشية الإخوان ، فلما استسلمتا كان شرطا ألا يدخلهما الإخوان . وقد كان أيضا - وعلى المدى البعيد - أن مكنت شهرة الإخوان من نشر الأمن والأمان في طول البلاد وعرضها . ألم يكن شعارهم " يا ويل عدو الشريعة منا " ؟.

أما السلب ؛ فتمثل في مبالغة التصقت بهم ونقلتها كتابات المؤرخين دون تمحيص حتى بدت حركتهم وكأنها "غزوة تترية"[٤]، وإن كان يخفف من هذه المبالغة شهادة أحد الأجانب بأن "الإخوان قد اكتسحوا الجزيرة العربية كمبضع الجراح الذي يزيل ما هو مؤلم وخبيث ويترك ما هو معافى وصحي"[٥].

ومن السلب - أيضا- تكتل الأعداء ضدهم حتى رأينا ممثل إيطاليا في "جدة" - بعد معركة "تربة" - يقترح تدمير الإخوان عن طريق حملة مشتركة

---

(١) تفصيل ذلك أن تنكر الحلفاء لوعودهم للشريف حسين ، لم يفقده فقط تعاطف الإنجليز - وقد ملوا إلحاحه - بل وأفقده أيضا تعاطف العرب والمسلمين ، خاصة بعد أن خلع على نفسه لقب الخليفة ، بعد أن ألغى مصطفي كمال أتاتورك الخلافة في تركيا ، ثم سمى الحسين نفسه ملك العرب ، وأخيرا منعه للإخوان من تأدية فريضة الحج ، من منطلق أن الإخوان يشكلون تهديدا فعليا للحجاج الأجانب ، وكلما أضاف الحسين إلى قائمة استفزازاته ، فإن الإخوان يشددون ضغطهم على إمامهم لدرجة لم يستطع أن يقاوم مطالبهم ، وهو في ذلك الوقت لم يكن ميالا لمقاومتهم .

(٢) جون حبيب : المرجع السابق، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) أطلق البعض على هذه الحالة تسمية " سلام الوهابية " . انظر :
Leatherdale, Clive : Britain and Saudi Arabia 1925-1939, The Imperial Oasis, London. P.24.

(٤) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦٠٣.

(٥) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ٢١٠.

من البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين، تنطلق إلى نجد من "البصرة" و"جدة" في وقت واحد[1].

من السلب – أيضاً – أنهم كانوا يتحركون كثيراً دون أوامر من سلطان نجد، كما أشرنا.

من السلب – أيضاً – أنه قد داخلهم بعض الغرور فإذا كان ابن سعود سلطانا لنجد، فلم لا يكون ابن بجاد سلطان الدين، وكان هذا لقبه الذي أصبح ينادى به.

أيضاً، وفي هذا الاتجاه، فإن تقصير الدويش لثوب ابن سعود كان نقطة فاصلة، وكان للحادثة أثرها الدعائي عن تقوى الدويش ورفاهية ابن سعود، وشجاعة المرءوس في قول الحق عند إمام طال ثوبه حتى جاوز الكعبين "وفضل الإزار في النار" كما علمهم مطاوعة ابن سعود[2].

هكذا بلغ الإخوان ذروة دورهم أو مجدهم في فتح الحجاز ، وإذا كان كل "مد" لابد له من "جزر" ، فإن "جزر" الإخوان جاء سريعاً، بحيث يمكن القول أن فتح الحجاز كان نهاية البداية ، أو بداية النهاية لهم. عموماً، وقبل أن نقفز إلى التفسيرات ، لنقف عند التداعيات ، ونرى كيف اصطدم الصانع بصنيعته.

تذهب أغلب المصادر إلى أن فتح الحجاز كان نتيجة لدافعية الإخوان أو اندفاعهم ، وتذهب أغلب المصادر – أيضا – إلى أنهم لم يكونوا راضين بدفعهم إلى نجد بعد فتح الحجاز ، وتتفق في أن زعماء الإخوان عقدوا اجتماعا في الأرطاوية سنة ١٣٤٤هـ /١٩٢٦م ضم الدويش وابن بجاد وابن حثلين ، أظهروا فيه سخطهم على سياسة ابن سعود الممالئة للبريطانيين أعداء الدين . فما كان من ابن سعود إلا أن عقد في العام التالي – يوم ٢٥رجب ١٣٤٥هـ / ٢٩ يناير ١٩٢٧م – مؤتمرا لتبرئة ساحته .

وجد في الأمور جديد حين قامت حكومة العراق ببناء مخافر على الحدود بينها وبين نجد ، متجاهلة تعهد بريطانيا بألا تعوق حركة الرعاة على الحدود بين نجد وجاراتها . فلما هاجم الإخوان – بدون أوامر من ابن سعود – هذه المخافر ، دعا ابن سعود إلى عقد " جمعية عمومية " ليطرح عليها الموضوع .

---

(١) نفسه ، ص ١٤٢.
(٢) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٣١٥.

وكان أهم ما أسفر عنه المؤتمر إبطال ما كان يدعيه زعماء الإخوان من حق إعلان الجهاد بغير إذن الإمام ، أما المعارضون فتجاهلوا المؤتمر والمؤتمرين وأذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي يهدمها ابن سعود "وشنوا الغارة تلو الغارة على الحدود العراقية ، التي ضجت حكومتها من اختلال الأمن في أطرافها ، وقامت مفاوضات جديدة بين الإنجليز وابن سعود انتهت إلى تعهد بريطانيا بطرد "العصاة" من أراضى العراق والكويت وشرقي الأردن ، إذا ما لجأوا إليها . من ناحية ثانية ، فقد جاءت أخبار من القصيم، تحمل إلى ابن سعود أن ابن بجاد التقى بجماعة من تجار القصيم، فقتلهم واستباح أموالهم .

هنا ترك ابن سعود حساباته وجمع قواته ، واتجه إلى مكان يقال له "روضة السبلة" بقرب "الزلفي" ، حيث تجمع المتمردون ، وأرسل يدعوهم إلى النزول على حكم الشرع ، ولما لم يمتثلوا نشبت المعركة بين الفريقين في ١٩ شوال ١٣٤٧هـ / ٣١ مارس ١٩٢٩م ، فجرح الدويش ، وحمل إلى ابن سعود الذي عفا عنه ، أما ابن بجاد فقد فر من معركة السبلة ، وسلم نفسه إلى ابن سعود بعدها بثلاثة أيام ، حيث سجنه ابن سعود .

أما ابن حثلين الذى لم يكن مشاركا في معركة "السبلة" فقد هاجمه فهد بن عبدالله بن جلوي، وقتل الاثنان، وتولى نائف بن حثلين قيادة العجمان الذين انضم إليهم — بعد حين — فيصل الدويش بعد شفائه، ونفذ الاثنان — مع من انضم إليهم – خطة جديدة هي شن الغارات على كل نجد، وإستنصار القبائل لنصرتهم.

جمع ابن سعود قواته في "الشوكي" قرب "الدهناء"، ووصلها في ٢٨ جمادى الثانية ١٣٤٨هـ / أول ديسمبر ١٩٢٩م استعدادا للانقضاض على الدويش الذي بدأ أنصاره ينفضون من حوله بعد علمهم بقدوم ابن سعود إليهم ، فاضطر إلى دخول الكويت ، مما حدا بابن سعود أن يخاطب السلطات البريطانية لتفي بتعهداتها له بطرد العصاة من الأراضي الخاضعة للبريطانيين ، أو يسمحوا له بمطاردتهم في هذه الأراضي .

ولما كان رؤساء الفتنة[1] قد استسلموا في "الجهراء"، فقد سلمهم البريطانيون لابن سعود صباح يوم ٢٨ شعبان ١٣٤٨هـ / ٣٠يناير ١٩٣٠م،

---

(١) فيصل الدويش وابن حثلين وابن لامي .

وتنفس ابن سعود الصعداء، وقال قولته المشهورة: "من الآن فصاعداً ، سوف نحيا حياة جديدة"[1].

اتفق الراصدون على خروج الإخوان من حلبة الصراع، لكنهم لم يتفقوا على أسباب خروجهم على إمامهم، أو على أسباب اصطدام الصانع بصنيعته. وكما برزت من قبل اتجاهات تغذيها توجهات لتفسير نشأة الإخوان، فقد برزت هنا نفس الاتجاهات والتوجهات لتفسير خروج الإخوان. (فأبو عليه)، وهو من أنصار التوطين، يرد "ثورة الإخوان" للأسباب الآتية:

أولاً: لم يرقهم ما قام به الملك عبدالعزيز من أعمال من أجل تأسيس دولة منظمة تأخذ بأساليب الحضارة الجديدة، كاستيراد السيارات واللاسلكي والهاتف... إلخ . ورأوها بدعا من صنع الإفرنج .

ثانياً: كان الإخوان يرون أن سياسة الملك الرامية إلى إيجاد حالة من السلم مع الدول المجاورة كالعراق وشرقي الأردن – البلاد الخاضعة للنفوذ الإنجليزي آنذاك –خطأ وانحرافاً عن مبدئهم ، وكانوا يرون ضرورة محاربتهم ، واحتلال أرضهم، ونشر السلفية بين السكان في هذه البلاد .

ثالثا: من المسلم به أن الولاء القبلي قد ضعف ، وحل محله الولاء للدولة. وبهذا فقد رؤساء القبائل مراكزهم وامتيازاتهم التي كانت لهم من قبل ، وبهذا انتقل الولاء إلى الإمام الشرعي ، وازداد الأمر سوءا بالنسبة لشيوخ القبائل ، عندما بدأت دولة الملك عبدالعزيز تتجه نحو الحضارة الجديدة ، " لذا فإننا نعتقد أن فقدان شيوخ القبائل لمراكزهم التي كانت لهم قبل حركة الإخوان ، هو السبب الهام من أسباب الثورة . لقد رأى زعماء الإخوان أن بإمكانهم أن يحركوا سذاج البدو من أجل مصالحهم وإعادة رد اعتبارهم ، وإننا نفسر ثورة فيصل الدويش وتحمسه الشديد لها ، بعدم تحقيقه المركز الذي كان يحلم به بعد فتح الحجاز ، فكان يرى أنه أحق في تسلم منصب أمير الحجاز ، لما بذله هو وبدوه في حروب الهاشميين وإخراجهم من الحجاز ، وما قام به الإخوان ضد العراق وشرقي الأردن من اعتداءات على حدودهما ما هو إلا طفرة غضب تنفس عن شعورهم بالحقد ضد سياسة الملك عبدالعزيز الجديدة " .

رابعا: بالنسبة لوجهة نظر زعماء الإخوان ، فإن ثورتهم كانت لأن الملك يأمرهم بمحاربة ما جاورهم ، والاعتداء على بلادهم من أجل أن يدينوا بالحق ،

---

(١) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ٢٠١.

وأن يأخذ خمس الغنائم ما داموا غير مسلمين ، وعندما اعتدى البدو على حدود العراق تدخلت بريطانيا وطالبت الملك عبدالعزيز أن يعيد الغنائم التي أخذها بدوه من سكان الحدود العراقية ، وأن الملك يطالب زعماء الإخوان بإرجاع ما أخذوه ، مع العلم أنه أخذ خمسها .

خامساً: من أسباب ثورة الإخوان والقبائل البدوية، أن بعضها ثارت لأنها رفضت دفع الضرائب للدولة، ويمثل هذا النوع ثورة قبائل تيماء فى الشمال[١].

وسوف نناقش هذه الأسباب تفصيلا فيما يلى:

فيما يتعلق بالسبب الأول – وهو معارضة أساليب الحضارة الحديثة – فقد استهوى معظم المؤرخين لتاريخ المملكة هذه الأقاصيص، ولم يملوا من تكرارها، مع الحرص على نسبتها للعلماء للزعم بأن الدين عاقهم عن التقدم[٢]، بحيث اعتبر البعض هذا الأمر أساساً للصراع بين الإخوان وابن سعود. وحتى يكون إجرائياً، فقد عبر عن "نظرة البدو عموماً، والإخوان خصوصاً، الذين رأوا أن ابن سعود يسلبهم بما أقدم عليه من أمر المستحدثات كافة ما يتمتعون به، فإذا كان بدعوته لهم إلى الاستقرار قد أفقدهم الحرية المطلقة التي ظلوا يتمتعون بها قدم حياتهم ذاتها، فإنهم من ناحية ثانية، لن يسمحوا لهذه الآلات الحديثة (الشيطانية) أن تفقدهم آخر ورقة رابحة في يدهم، وذات الأهمية القصوى بالنسبة لهم وهى(الإبل). فدخول الأتيال[٣] تعنى بالبساطة الشديدة- التي ميزت حياة البدو – ضياع رأسمالهم، ومورد رزقهم الأساسى"[٤].

ونحن نسأل – مندهشين – أي إبل نتحدث عنها الآن ، تحد من اندفاع المؤمن أو طموح السياسي ، لقد باعوها بالفعل منذ عقد ونصف من الزمان ، ولم يبق مع معظم الإخوان إلا راحلته التي تنقله –مع رديفه أحيانا – إلى حيث يغزو ابن سعود .

على الجانب المقابل، يدافع البعض عن هذه المعارضة للمخترعات الحديثة، أو هذا الحذر دفاعاً مجيداً، ويصفه بالوطنية، ويبدأ بأن "الخوف من المجهول هو أول درجات العلم"[٥]. ونحن نرى الأمر أبسط من هذا وذاك.. ببساطة لم يتح

---

(١) عبدالفتاح حسن أبوعليه : الإصلاح الاجتماعي . ص ص ١٦٠-١٦١.
(٢) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٨٨.
(٣) لفظ أطلقه الإخوان على كل المستحدثات .
(٤) عبدالعليم على عبدالوهاب أبو هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٣٦.
(٥) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٥٨٨- ٥٨٩.

للإخوان الوقت لكي يستوعبوا هذه المخترعات الحديثة، وإذا قدمت إليهم بشكل مقنع فإنهم يتقبلونها باقتناع. وكان يكفي لإقناع الإخوان في بعض الأحيان أسلوب بسيط، كما حدث حينما أمر ابن سعود بأن تتلى آيات من القرآن الكريم عبر التليفون ، فأضطر المستمعون إلى أن يوافقوا على أن الآلة التي تحمل كلام الله لا يمكن أن تكون من عمل الشيطان[١]، لكنه كان من الضروري اتخاذ موقف أشد صرامة عندما أدخل اللاسلكي إلى الرياض، فحين ارتفعت أصوات الاحتجاج على ذلك، لم يوقفها إلا دعوة الملك الحازمة لكل من لا يوافق عليها أن يغادر المدينة[٢]، وكان هذا أحد أساليب الإقناع ، فلم يغادر أحد المدينة.

أما السبب الثاني، فنحن نوافق عليه، وننقل جزءا من رسالة أرسلها فيصل الدويش إلى سعود بن عبدالعزيز آل سعود[٣]، قال له فيها: "لقد غزونا المشركين والناكثين للعهود الذين بنوا القصور[٤]، وحرضوا رعاياكم على التمرد عليكم.. ولقد عرفت أباك بكل هذا، وهذا هو خلاف الإخوان ضد أبيك، أما ماعدا ذلك فكل مسالككم مقبولة منا حفظكم الله"[٥].

أما السبب الثالث فمردود عليه بذلك الحوار المباشر الذي دار بين ابن سعود وفيصل الدويش بعد أن سلمه له الإنجليز[٦].

---

(١) إبراهيم عبده : إنسان الجزيرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٧.
(٢) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبدالله صالح العثيمين ، الرياض ١٩٨٧، ص ١١٦.
(٣) في سنة ١٩٢٩م / ١٣٤٧ – ١٣٤٨هـ .
(٤) يقصد القلاع والحصون .
(٥) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦٧٩
(٦) يصف حافظ وهبة هذا الموقف فيقول : " لقد رأيت الدويش هذا اليوم ، ورأيته مراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالتين !كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠رجلا مسلحا ، يدخلها كقائد عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد ، إذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود ، يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام . أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام على أي مخلوق يضمه القصر – ما عدا العلماء طبعا – فحدث عنه ولا حرج . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأرطاوية فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبتدئ من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري ، وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلا للرفض أو التحوير ، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحوير أو تعديل . اليوم يقف الدويش ذليلا أمام الملك ابن سعود وأمام قواد الجيش ، وكلهم دونه منزلة " . أنظر ، حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٣٢٨.

فقد قال الملك: "هل قصرت في شئ نحوكم؟

ورد الدويش: ما قصرت في شئ يا طويل العمر.

فقال الملك: هل كنت تريد الملك؟ لقد كنتم ملوكا في الجهات التي كنتم فيها"[١].

وبعد هذا الحديث، لا يصح حديث البحث عن مكانة بعد هذه المكانة.

أما السبب الرابع فنخلص منه إلى موافقة ضمنية لابن سعود على ما قاموا به، ونضيف إلى حيرة ابن سعود، حيرة الدويش الذى قال "بأن المنهوبات ضاعت وليس لديه شئ منها"[٢].

أما السبب الخامس ، فنرد عليه بما أثير في مؤتمر الرياض (١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م)، حين اشتكى الإخوان من وضع الضرائب من المكوس على المسلمين في نجد، فأفتى العلماء عن هذه القوانين بأن ما كان موجودا فيها في الحجاز يزال فوراً، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر[٣]، وبالتالي لا مجال لاعتبار هذا سببا للثورة ، خاصة إذا عرفنا أن الإخوان كانوا ملتزمين بفتوى رجال الدين[٤].

أما أنصار الثورة التحريرية والبعث الإسلامي- ويمثلهم محمد جلال كشك-[٥] فيردون ثورة الإخوان إلى الدسائس البريطانية، وأن بريطانيا أرادت الفتنة، وساعدت عليها بكل السبل، فهي التي فجرتها ببناء الحصون، وهي تعرف مسبقا معارضة الإخوان لها، وهى التي شجعتهم على مهاجمة هذه المخافر، وتسجيل انتصارات في المرحلة الأولى لإعطائهم الشعبية، وإغرائهم بمعارضة أوامر الملك، ثم هي التي ضربتهم، أو بالأحرى قبائلهم بالطائرات، رغم احتجاج الملك، ومحاولته منع ذلك، مؤكدا أن هذا العمل من جانب بريطانيا

---

(١) سعود بن هذلول (آل سعود) : المرجع السابق ، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) كما جاء في رسالة الدويش إلى سعود بن عبدالعزيز . انظر ، ص ص ٤٠-٤٣ من هذه الدراسة .

(٣) نفس المرجع ، ص ص ١٨٦-١٨٨.

(٤) تشهد على ذلك أمثالهم "حط بينك وبين النار مطوع". انظر، محمد رفعت عبدالعزيز: الأمثال، ص ٣٤.

(٥) الذي ينعى على أبى عليه قوله: "والواقع أن ثورة الإخوان كادت تعصف بحكم الملك عبدالعزيز لولا مساندة بريطانيا له باستخدامها قواتها الجوية، ووضعها قوة كبيرة على الحدود الكويتية ، وإبقائها للكويت والعراق على الحياد ، وهذا كله أجبر الثوار على الاستسلام. ولولا هذه الأعمال لما تمكن الملك من سحق الثورة بهذه السهولة ، ولتعرض البيت السعودي لأخطر النتائج ، وبهذا استطاع الملك عبدالعزيز أل سعود أن يتخلص من ثورة الإخوان التي دوخته ، ويضيف متهكما " هذه دراسة تستحق جائزة المكة إليزابث ، لا الملك فيصل (ابن) عبدالعزيز . أنظر ، محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٦٣٣-٦٣٤.

يؤجج الثورة ولا يخمدها، ويضعف مركز الملك، ولا يقوى حكمه. فلما صدق ظن الملك، ونشبت الثورة ضده، ساعدت بريطانيا – والحكومات الموالية لها – الثوار بالمال والسلاح، طارحة كعادة السياسة البريطانية كل الاحتمالات: فإما أن ينتصر الإخوان، وبذلك تتمزق وحدة البلاد، وتقام مجموعة دويلات في الإحساء وشمال نجد وجنوبها، وإما أن يمزق المتحاربون بعضهم بعضاً، فتفرض هي هيمنتها وشروطها على الجميع. وإذا انتصر ابن سعود، فقد كان تصور بريطانيا أن هذا النصر لن يتم إلا بعد معارك طاحنة، يفقد فيها عبدالعزيز قدراته العسكرية لزمن طويل، وهذا على ضوء سمعة الإخوان القتالية. كذلك كان في حساباتها أن حركة ابن سعود ستتحول إلى دولة فقيرة، بل إلى أفقر دولة عربية. فينشغل بهموم تدبير قوت هذه المملكة عن طموح تحرير العالم العربى والبعث الإسلامى[1].

ومن جانبنا لن نناقش هذا التوجه ، ونكتفي باستدراك محمد جلال كشك الذى أكد "أن الإنجليز أو المخابرات البريطانية لم تخلق ثورة الإخوان، ولا صنعت تمردهم ولكنها استثمرته وساعدت في تفجيره وتطويره، أما التمرد أو الثورة فكانت لها أسبابها الموضوعية والذاتية، التي لا دخل مباشرة لبريطانيا فيها، فالاستعمار لا يخلق ثورات، بل يستغل الثورات غير الناضجة فيجهضها أو يحرفها أو يمزقها، أو حتى يستفيد منها في تقويض نظام يتعرض لخططه ومشاريعه"[2].

أما التوجه الثالث الذي يسم ابن سعود بالانتهازية، فقد تباين الأمر عند أنصاره، فيتحدث عبد الكريم أبا الخيل عن تصفية وليس صداما، عندما يقرر أنه "بعد أن فرغ الملك عبدالعزيز من حروبه، بانتصاراته التي أحرزها بفضل الإخوان، وانتهت الحاجة إليهم.. أخذ يفكر في القضاء على نفوذهم وتمردهم وجموحهم[3]، في حين يتحدث محمد أسد عن خيبة أمل مزدوجة سببت الصدام.." خيبة أمل الإخوان فى الملك.. وخيبة أمل الملك في الإخوان"[4].

أما جون حبيب فقد فسر ثورة الإخوان بأنه "لما تم الوصول إلى البحر، فإن قصة بطولات الإخوان بكل تأكيد انتهت هنا. فالذروة تم الوصول إليها

---

(١) نفس المرجع ، ص ٦٣٤.
(٢) نفسه ، ص ٦٣٧.
(٣) عبدالكريم أبا الخيل : المرجع السابق ، ص ١٨٧.
(٤) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص٦١٤.

ومبرر وجودهم لم يعد موجوداً، وما تبقى لهم هو أن ينهوا أنفسهم في مرحلة من التاريخ. وهم يشكلون الآن لابن سعود عامل إرباك، ولم يعودوا يقدمون فائدة القوة الموازنة. والحقيقة هي أن رؤية ابن سعود وخططه كانت أعظم كثيراً مما استطاعوا تخيله. فقد كان نابغة، وكانوا هم فقط جانب واحد من نبوغه. ولقد استنفذوا فائدتهم، وأصبحوا الآن غير ذي جدوى. وهذه القوة الديناميكية التي أعيدت إلى نجد في ذروة قوتها ونجاحها لم يكن مفاجأة عندئذ أن تنفجر في ثورة عصيان، بعد أن سدت في وجهها الطرقات. فالحدود مع الأردن قد سويت ومحروسة من قبل البريطانيين: والحدود مع العراق والكويت أعيد ترسيمها، والبريطانيون موجودون هناك أيضاً. والإخوان ممنوعون بغير تحفظ من الإغارة على المواقع خارج الوطن، ومحظور عليهم الإغارة داخل الوطن، ولا توجد أراض لاحتلالها[1].

ونرد على أنصار هذا التوجه عموماً بشهادة بنوا ميشان الذى رأى أن عبدالعزيز ابن سعود "كان يجسم في ذاته شعبا رفض دوماً أن يفصل بين الزمنية والروحية، فقد كان نشاطه السياسي والديني يمتزجان إلى حد يتعذر عليه هو نفسه أن يميز بينهما"[2].

ونحن نرى الأمر برمته خلاف ذلك، نحن نرى الأمر في أغلبه اتفاق، وفي بعضه ارتباك، وفي أقله اشتباك، وإن كان الأخير قد أطاح بالاتساق، ليعلن الملك — ربما — بارتياح: "من الآن فصاعداً سوف نحيا حياة جديدة"[3].

نعود للاتفاق ، ونقصد به انسجاما بين الإستراتيجية والتكتيك ، ونقف عند التفاعلات الهامة – نرصد بعض هذا الانسجام – وذلك على النحو التالى:

١- في بداية تجربة الهجر، انكب الإخوان على العبادة دون غيرها، فأرسل إليهم ابن سعود مطاوعته الذين أفهموهم أن الإسلام ليس دين رهبنة، وأنه دين ودنيا، وأن العمل واجب على كل مسلم ومسلمة.. فانتهى الأمر إلى الاتساق.

٢- أثار سكنى الإخوان في الهجر عدة مسائل:

هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأمر الله

---

(١) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ص ١٥٧-١٥٨.
(٢) بنوا ميشان : المرجع السابق ، ص ١٧٩..
(٣) جون حبيب : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

ونهيه أم لا؟

وهل فى الحضر الأول وفي من هجر البداوة أخيراً فرق أم لا؟

وهل في ذبيحة الحضر الأول والمهاجرين البداوة الآن فرق حلال أو حرام أم لا؟

وهل لمن تركوا البداوة أمر أو رخصة بأن يعتدوا على الناس الذين لم يتركوا البداوة بأن يضربوهم ويهددوهم ويلزموهم ترك البداوة؟

وهل لأحد أن يهجر أحداً بدويا أو حضريا بغير أمر واضح، إما كفر صريح أو شئ من الأعمال التي يجب هجره لها، بغير إذن ولي الأمر والحاكم الشرعى؟

وهل في لبس العقال والعمامة فرق يتفاوت فيه اللابسون إذا كان معتقدهم واحد أم لا؟

وكان جواب العلماء على هذه المسائل أنها مخالفة للشريعة السمحاء ، ولم يأمر الله تعالى بها ولا رسوله(ص)، ولا يترتب عليها من الجواب إلا بيان فساد قول المعترض بها، فمن اعترض على المسلمين بشيء من هذه المسائل وأمثالها ينهي ويزجر، فإن تاب وأقر بخطئه 'عفي عنه ، وإن استمر وعاند وجب تأديبه ظاهرا بين المسلمين حتى يرتدع غيره . وعلى هذا فان من يأمر وينهى أو يعادي أو يوالي بغير أمر ولاة الأمور والحاكم الشرعي ، فإن من هذه حالته يكون مخالفاً للشريعة المحمدية وطريقته غير طريقة المسلمين[1]. وبعد هذه الفتوى ، عاد الأمر إلى الإتساق .

٣- يذكر بنوا ميشان أن ملك نجد استدعى العلماء ورؤساء القبائل إلى اجتماع في مسجد الرياض ، الذي عقد برئاسة الإمام عبد الرحمن للتداول في الكتب الواردة إلى الإمام من الإخوان ، وهم يبغون الحج ويلحون في ذلك ، وتكلم في هذا الاجتماع سلطان بن بجاد فقال : " يالامام حنا نبغي الحج ، ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه . ليست مكة ملكا لأحد ، ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين ، أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج . نريد أن نحج يا عبد العزيز ، فإذا منعنا الشريف حسين

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها . جـ٢ ، بيروت (بدون تاريخ) . ص ص ١٥١-١٥٢.

دخلنا مكة بالقوة .." .

وقال السلطان عبد العزيز إن مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا وهاهم حاضرون ، فليتكلموا . ونهض الشيخ سعد بن عتيق وقال: "إن الحج من أركان الإسلام ، ومسلموا نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة ، ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد ، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع (يؤجل من أجله الحج)، فهل هناك من مفسدة أو مضرة قد تنتج عن السماح لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله ؟ ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسة".

فرد السلطان عبد العزيز مخاطباً العلماء والإخوان بما يلي :

"نحن لا نريد أن نحارب من سالمنا، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا، ولكن شريف مكة كان دائما ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرنا، ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن . وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد ، وكلما لنت له تجافى. أي ورب الكعبة ، لست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل ، بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكا ، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا". وقف السلطان عند هذه الكلمة فهتف الجميع: "توكلنا على الله ! إلى الحجاز!".

وهكذا تحرك الإخوان مع قائدهم لفتح الحجاز في اتساق .

والآن نرصد الارتباك – ونقصد به اختلافا لحظيا بين الاستراتيجية والتكتيك – وذلك على النحو التالي :-

١- يذكر بنوا ميشان أن الاضطرابات عندما تجددت في خرمة قام العلماء والإخوان يندون ، وعندما وجه أهل خرمة نداء استغاثة إلى إخوانهم في نجد، كان النداء مؤثرا وكان له دوى كبير[١].

واعتكف ابن سعود في قصره ، ساكتا لا يتكلم إلا نادرا ، فالحيرة قد شلت " فهد الصحراء " فما عساه صانع ؟ إن النزول عند رغبة الجيش معناه خرق

---

(١) مما جاء في رسالتهم إلى ابن سعود : " لقد فشل رسلنا من الرجال في إثارة همتك ، فسنبعث بنسائنا في المرة القادمة ، لإثارة حمية أهل نجد " . انظر ، محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٩١.

معاهدة " العقير " وسيكون رد فعل الإنجليز سريعا، فيقضي على الإخوان ، ويضيع عرش " نجد " و" الإحساء" وتذهب بلاده نهبا، وسيقتسمها الطامعون بعد انتهاء الحرب ، وتفرض على شعبه السيطرة الأجنبية أو يهمل وشأنه ، فتنهار وحدته ويغرق في الفوضى مرة أخرى . ولكن القعود عن أية حركة سيرسخ الاتهامات الكاذبة في عقول الناس بأنه يمالئ الإنجليز ، وسيثير أزمة داخلية . فياله من سيف ذي حدين ، وياله من موقف شائك لم يواجه ابن سعود مثله من قبل . وعلم على حين غرة ، بأن محمدا بن الرشيد ، الذي تأكد من فشل الأتراك في الحرب ، قد انتقل فجأة إلى معسكر الحلفاء ، وأن الحسين قدم له السلاح والعتاد سراً ليهاجم الرياض، فاسترد ابن سعود كل حيويته وتهيأ الفهد للوثوب . فلن يكون في وسع الإنجليز الاعتراض ، ما دام هو المعتدى عليه . ثم ألم يحرضوه هم أنفسهم على التخلص من ابن الرشيد ؟ وما دام الإخوان يتحرقون شوقاً للقتال فلم لا يتولى قيادتهم لسحق العدو التقليدي للأسرة ؟ وتكون هذه المعركة بمثابة تفريج للكبت الذي يعانيه المحاربون.

قرر ابن سعود الدعوة إلى اجتماع شعبي كبير يحضره ممثلو الشعب في مدينة " شقرا " المركز الهام من مراكز الإخوان ، واستدعى قادة الجيش على عجل ، فلبوا الدعوة بلهفة لا تقل عن لهفتهم إلى القتال ، وما توقعوا إلا أن الملك يستدعيهم ليعلن لهم بدء المعركة ضد الحسين. ووصل القادة واتباعهم إلى "شقرا " الواحد بعد الآخر ، فكان ابن سعود يستقبلهم عند باب المدينة ، حتى لاح صبح اليوم التالي فاحتشد سكان " شقرا " والقرى المجاورة ، والقادة العسكريون واتباعهم ، في سهل رملي يقع شمالي المدينة ، وجاء الملك فجلس قبالتهم يحوطه حرسه الخاص . انه أضخم حشد عسكري عرفته الجزيرة العربية حتى الآن .

نهض ابن سعود وتفرس ملياً في وجوه الحاضرين وقال :

– لقد دعوتكم لأني بحاجة إليكم . فقد قررت بعد تفكير طويل إعلان الحرب ، فتفجرت الحناجر بهتافات صافية تستقبل تصريح الملك ، فالساعة قد حانت لتنفض غبار الجمود وتمسح عن جبينها عار اللامبالاة . أردف الملك في هدوء: لقد قررت إعلان الحرب ، وأما العدو الذي اطلب إليكم قهره فهو محمد بن الرشيد ، فتجهمت الوجوه ، وهمدت حماسة الجماهير ، وسرت بينها همهمة تعبر عن الاستياء . ووقف القادة العسكريون الجالسون في مقدمة الصفوف وطلبوا السماح لهم بالكلام وقال كل بدوره : ماذا يعني ذلك ؟ وما يهمنا من ابن

الرشيد ؟ فليس هو ، بل الحسين ، من ينبغي قتاله.

ولما لم يجب ابن سعود نهض فيصل آل الدويش ، القائد الأعلى للإخوان ، وطلب الكلام باسم الجيش كله ، فقال بإلحاح : " إننا نطالب بمحاربة الشريف حسين ، الذي يفتك بإخواننا في " خرمة " إننا نطالب بمحاربة أعداء الدين ، ألم تجندنا أنت وتعلمنا وتدربنا لهذه الغاية ؟ ليس لك غير كلمة واحدة تقولها يا ابن سعود ونمشي وراءك حتى الموت ، شرط أن تقولها ضد الحسين الذي انتهك حرمة الديار المقدسة ، وعليك أن تعلم بأننا لن نخضع لرغبات الأجنبي ".

أصغي ابن سعود إلى الدويش ولم يقاطعه ، لأنه يعرف ما يدور في خلد قائد الإخوان . لقد قيل له إن المعركة ضد محمد بن الرشيد أوحى بها الإنجليز وستكون لصالحهم . فقد كان الدويش يكره الإنجليز كرهاً عظيما . وذلك ما حداه إلى انتقاد الملك في موقفه هذا إلى جانب مصلحة الأجنبي .

أية كارثة يواجه ابن سعود ! فالإخوان الذين هم صنع يديه ، والذين أوجدهم من العدم وتعهدهم بالرعاية ، منذ كانوا حفنة من المتطوعين حتى أصبحوا الجيش الأول في الجزيرة العربية ، هاهم اليوم على عتبة التمرد وفي ذروة الغضب ، فهل يتلقى ابن سعود ضربة سيف صقله ودأب على العناية به طوال سنين . فابن سعود خير من يعرف طبيعة جيشه وتكوينه ، وما غاب عن ثاقب نظره أن ذلك الجيش يقف في تلك اللحظة على شفير الثورة ، وأن خطاب الدويش قد ألهب حماسته . وإذا لم يقبض سريعا على ناصية الأمور ، فإن زمام جيشه قد يفلت منه إلى الأبد . ولكنها كانت عملية دقيقة ، فكلمة غير واضحة أو بادرة تحمل على غير محملها ، وإشارة يساء تأويلها قد تدفع الإخوان إلى إزاحة الملك ، والزحف إلى مكة لسحق الحسين . وإذ ذاك ، فلا مناص من فاجعة تحل بالإخوان ، إذ لا ريب في أن الإنجليز سيقضون عليهم بدفق من قنابل مدافعهم ومصفحاتهم وطائراتهم . لم يكن على ابن سعود في تلك اللحظة الحرجة وهو يتخيل المجزرة الرهيبة ، أن ينقذ عرشه وحسب ، بل كان عليه أن ينقذ هؤلاء الرجال جميعا، ويصدهم عن الانزلاق إلى مغامرة انتحارية ، ومرت دقيقة صمت أطول من دهر، قبل أن يقف ابن سعود ليقول بصوت بدأ هادئاً ، وازداد حدة كلما ازداد الملك انفعالا : " سمعا يا إخوان يا من تسمون بجنود الملك ، وأنها لتسمية لا يدرك معناها إلا من شاهدنا معاً في غمرات المعارك ، وساحات القتال . فالعواطف التي أكنها لكم ليست عواطف رئيس نحو مرؤسيه فحسب ، ولكنها مشاعر أخ نحو إخوانه وأب نحو أبنائه . فباسم هذه المشاعر أتكلم ومنها

استوحي ما أقول ، وليس لي بعد الله من معين سواكم . إننا معاً كفيلون بتحقيق كل شئ ، وأما إذا انفرط عقدنا ، فلابد من تضاؤل شأننا . فلا يظن أحد منكم إنني أعبث بما يترتب علي من واجبات ، ومن قال لكم هذا القول فهو شانئ نمام، يستغل طيبة قلوبكم ، ويجهل ما ينوء به كاهلي من مسئوليات جسام . أيخيل إليكم أن آلام الإخوان في "خرمة " لا تثيرني وتحز في نفسي ، مثلما تثيركم وتحز في نفوسكم ، ولكني أعرف ما تحتمه الضرورة . فكفوا عن الاهتمام بأمر الحسين . ويميناً بالله إما أن يمنعه الإنجليز من تكرار اعتداءاته على " خرمة " ، وإما أن نمشي إليه معا لننزل به العقاب الذي يستحق[1].

٢- يذكر محمد جلال كشك أن الخلاف بين ابن سعود والإخوان قد ظهر على السطح تحت أسوار " جدة " ، عندما فرضت سياسة الدولة والمستشارين اختيار الحصار والمفاوضة ، بدلا من اقتحام البلدة بإعصار الإخوان ، الذي كان قادرا ومتحفزا ، ونافذ الصبر لتنفيذ هذا الاجتياح . ولعل الإخوان - أو قياداتهم - كانت تخشى أن تتكرر غلطة سعود الكبير ، عندما تباطأ في غزو " جدة " والسيطرة على الساحل ، فكانت ثغرة خطيرة . ولعل الإخوان كانوا قد سمعوا بمحاولات بعض أعيان " جدة " في الحصول على الانتداب البريطاني أو الحماية. وفي اجتماع ٤ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ / ٣٠ ديسمبر ١٩٢٤م طالب فيه زعماء الإخوان بالهجوم على " جدة " ، وتجرءوا على مخاطبة عبد العزيز بألفاظ قاسية وهو في قمة نصره . فتكلم أبو حميد ابن بجاد مخاطبا الإمام عبد العزيز: " إننا نعلم أن لا صلاح في أمر دين ودنيا للمسلمين عموما ، ولهذا البيت وأهله خصوصا ، بوجود الحسين وأولاده في الحجاز ، فإذا كان هذا ثابتا عندنا ، ونعتقده دينا ، فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فإن كنت تخاف على أحد من رعايا الأجانب ، أو أحد من أهل " جدة " ، فلك منا العهد والميثاق أننا لا نمسهم بشر ، إلا من برز منهم لقتالنا أو بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه .. والآن فلابد لنا من أمرين :

الأول: أن تعلمنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه ، ونحن نكفيك مؤونة الأمر .

والثاني: إذا كنت لا توافق على الزحف ، لما تراه من الأمور التي أنت أعلم بها منا ، فلا يجوز أن نظل بعيدين عن أعداء الله هذا البعد ، بل يجب أن نقترب منهم ، ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، أما الأمر الأول ؛ فهو

---

(١) بنوا ميشان : المرجع السابق ، ص ص ١١٧-١١٩.

مرادنا ، وأما الثاني ؛ فليس إلا مرضاة لخاطركم يا الإمـــام ، لأن الله أوجـب علينا طاعتك ".[1]، وكان الأمر الثاني حيث طلب المحاصرون في جدة والمدينة الاستسلام شريطة إلا يدخلهما الإخوان .

٣- بعد استسلام جدة ، حدث – كما يذكر محمد جلال كشك – أول صدع بيـن الشعارات والممارسة ، فقد أصدر الملك أمره بحرق الدخان الموجـود فـي مخازن " جدة " ، ولم يكن هناك ظل من الشك في جدية القرار ، ولكن تـجار التمباك قرروا أنه لا يأس مع الحياة ، فتوجهوا للملك الذي- كما يقول فيلبـي- " فزع عندما أخبروه بأن مخازن جدة بها تمباك بمائة ألف جنيه " وهو فزع مفهوم من ملك أعطى امتياز نفط المنطقة الشرقية كلها بـألفي جنيـه فقـط .! ([2]) ، واستفظع الملك ومستشاروه أن يكبـدوا رعاياهم في أول عهدهم خسـارة هـذا المبلغ ، فسمح لهم ببيعه ، على ألا يستوردوا غيره . وبيعه يعني تدخينه ، فلمـا لان الجو ، تشجع التجار ، وهم موجهوا السياسة في كل زمان ومكان ، فتحدثوا عن إيرادات الحكومة من الدخان ، والضرائب المستحقة لحكومة الملك علـى ، والتي أصبحت الآن من حق الإمام .. وتبين أنها تشكل موردا رئيسيا من موارد الدولة ، لذلك أفتى بعضهم : " بأن الدخان مكروه ولكنه ليس من الكبائر " . لكن مؤتمر الإخوان اللاحق رأب الصدع ، حين أقر إلغاء كل القوانين الموجودة فـي الحجاز ، ولا يحكم إلا بالشرع ، فعاد الاتساق إلى حين .

أما الاشتباك ، فيأتي من تبني أحد الشريكين – الصـانع أو صنيعتـه – إستراتيـجية مخـالفة ، أو ظنه ذلك فـي الآخـر . فقد عقد زعماء الإخـوان مؤتمراً في (الأرطاوية) هجرة فيصل الدويش حضره رؤساء مطير ، وعتيبة والعجمان ، فتعاهدوا فيه على نصرة دين الله والجهاد في سبيله ، ثـم تذاكـروا فيما بينهم في أعمال الملك ابن سعود بعد استتباب الأمر لـه فـي الحجـاز ، وعسير، وجبل شمر ، والجزيرة العربية كلها تقريباً ، وأجمعوا أمرهـم علـى إنكار ما يلي من أعماله التي قام بها وهي :

أ- إرسال ابنه سعود إلى مصر ، والتي كان يحتلها البريطانيون المسـيحيون ويسكنها مسلمون ملحدون (من وجهة نظرهم).

---

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦٢٠.
(٢) سنت جون فيلبي : تاريخ نجد ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهـاب ، تعريـب عمـر الديراوي ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٣٣٣.

ب- إرسال ابنه فيصل إلى لندن بلاد الشرك .

ج- استخدام السيارات ، المبرقات ، اللاسلكي والتليفون ، لأنها من بدع المسيحيين والاختراعات المنكرة .

د- تحصيل الضرائب من قبائل الحجاز ونجد .

هـ- السماح للقبائل الملحدة في العراق ، وشرق الأردن برعي قطعانها في أرض المسلمين .

و- منع التجارة مع الكويت . فإذا كان هذا المنع يعني معاقبة الكويت لأن الكويتيين ملحدون ، فإذن يستحسن أن يكون مسموحاً للإخوان بالإغارة عليهم . أما إذا كان الكويتيون مسلمين فعلاً فلماذا مقاطعتهم ؟

ز- الفشل في إرغام أهل الإحساء ليلتزموا بالإسلام الوهابي .[1]

كان الملك عبد العزيز حينذاك في الحجاز فأسرع إلى الرياض ، لأن هذا حادث له ما بعده . وعند وصوله عقد مؤتمراً في يوم ٢٥ شهر رجب عام ١٣٤٥هـ (يناير ١٩٢٧م) ، دعا إليه جميع الإخوان ، فاجتمعوا عنده في الرياض فعرض الإخوان مطالبهم واعتراضاتهم ، وجرت مباحثات حولها ، وبعد هذا الاجتماع أصدر علماء نجد فتوى حول هذا الانشقاق ، وهذا هو نص الفتوى :

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد ورد علينا من الأمام – سلمه الله – سؤال من بعض الإخوان وطلب منا جواباً فأجبناه بما هو نصه :

أما مسألة البرق والتليفون فهذا أمر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاما لأهل العلم فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم في الإباحة والتحريم يحتاج للوقوف على حقيقته ، وأما مسجد حمزة وأبي رشيد فقد أفتينا الإمام بهدمهما على الفور .

وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز يزال فورا ، ولا يحكم إلا بالشرع المطهر . أما دخول الحاج المصري مكة بالسلاح وبالقوة في البلد الحرام ، فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن إظهارهم

---

(١) حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ٣١٨.

الشرك وجميع المحرمات . وأما المحمل المصري فأفتينا الإمام بمنعه من الدخول في المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتمسح به أو يقبله . وأما ما يفعله أهل المحمل من المنكرات فإنهم يمنعون عنها . وأما منعه عن مكة بالكلية فإن أمكن ذلك بلا مفسدة تعين ، وإلا فاحتمال إحدى المفسدتين لدفع أعلاهما سائغ شرعاً .

وأما الرافضة فقد أفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ، ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل . وعلى الإمام أيضا أن يلزم نائبه في الإحساء أن يحضرهم عند الشيخ عبد العزيز بن بشر ، ويبايعوا على دين الله ورسوله ، وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك البدع من اجتماعهم على مآتمهم ، وغيرها مما يقيمون به شعائر دينهم ، ويمنعون أيضا من زيارة المشاهد . وكذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ، ويرتب فيها أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة ، ويلزمون بتعلم ثلاثة الأصول . وكذلك إذا كان لهم محال مبنية لإقامة البدع تهدم في الحال ، ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها . ومن أبي القبول بهذا ينفي من بلاد المسلمين .

وأما الرافضة في بلاد القطيف فيلزم الإمام الشيخ عبد العزيز بن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا .

وأما البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين ، فأفتينا الإمام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين ، ويلزم نوابه من الأمراء في كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ، ومنعهم من المحرمات .

وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين ، فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول ، وكفهم عن مراتع المسلمين وأرضهم .

وأما المكوس فأفتينا الإمام أنها من المحرمات الظاهرة فإن تركها فهو الواجب عليه ، وإن أبى فلا يجوز شق عصا الطاعة ، والخروج على الإمام من أجلها .

وأما الجهاد فهو محول إلى نظر الإمام ، وعليه أن يراعي ما هو الصالح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة الغراء ، ونسأل الله لنا ولكم وكافة المسلمين التوفيق والهداية ، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه

وسلم[1]، وحرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ[2].

وكما هي العادة في كل الانقسامات الأيديولوجية ، اختلف الفريقان في تفسير قرارات المؤتمر ، فقال الجانب الملكي إن " أعظم ما أسفر عنه الاجتماع، هو إبطال ما كان يدعيه الغلاة من حق الجهاد بغير إذن الإمام ، وأصبح المخالف له حلال الدم والمال " وصيغة الفتوى لا تسمح بهذا الإدعاء بل قالت: "حول إلى نظر الإمام" وفي نفس الوقت قالت: "منع رافضة العراق من الدخول في مراتع المسلمين". وقد استند إليها تفسير الثائرين بأنهم خولوا تنفيذ هذا المنع، فهم أهل الثغور، ومن ثم فقد زعموا أن " جهادهم " في العراق هو في إطار قرارات المؤتمر. وبالجهاد " الشعبي " في العراق تفاقم الموقف ، ودخلت فيه قوى خارجية عديدة[3]، وحاول الملك تهدئة الإخوان ، ولأنه يشاركهم الرأي في سخطه على بناء المخافر على الحدود ، ولكنه يفضل حلها بالمفاوضات ، ووافق على مقابلة زعماء الإخوان في " بريدة " ، لكن تأجل المؤتمر انتظاراً لنتيجة مفاوضاته مع الإنجليز[4].

فلما فشلت المفاوضات ، دعا إلى جمعية عمومية هي مؤتمر الرياض الذي حضره ما يزيد على ١٢ ألف مندوب . وقد قاطع زعماء الإخوان المؤتمر، استنادا إلى أن مؤتمر الرياض فيه الكفاية ، وقد ثبت رفض الإنجليز هدم المخافر ، وبالتالي أصبح على الإمام أن يشن الجهاد أو ينتدب المسلمون أنفسهم للجهاد ، وربما كانت المقاطعة تحت تأثير الأنباء التي وصلت عن رفض الإنجليز الاستجابة لمطالبه ، مما أعطى انطباعاً بأن مركزه ضعيف . وقد نأى عن الدويش ابنه ، ولكن الصوت الإخواني في المؤتمر لم يكن ضعيفا بأية حال، وقد نشرت أم القرى ملخصاً وافياً برأي الإخوان .

قال ممثلوا الإخوان في المؤتمر: "إن مسألة القصور (الحصون) هي أهم المسائل وهم يسألون هل يجيز الدين إقامة حدود في بلاد كانت لهم ولآبائهم وأجدادهم مئات السنين ؟ وإذا كان الإمام قد سمح للمسيحيين بتقسيم أراضي المسلمين بالحدود ، فكيف يسمح لهم بخرق ذات المعاهدة التي وقعها معهم حول

---

(١) سعود بن هذلول : المرجع السابق ، ص ص ١٨٦-١٨٩؛ وأنظر أيضاً ، حافظ وهبة : المرجع السابق ، ص ص ٣١٩-٣٢١.
(٢) الموافق ١١ فبراير ١٩٢٧م .
(٣) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص٦٢٥.
(٤) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ١٧٢.

بناء القصور على الآبار ؟! إن المرأة في خبائها تطالب بتفسير لهذا السكوت ، وهم سامعون مطيعون للإمام فيما يراه في هذا الأمر على شرط :

- أن تصدر فتوى من العلماء بأن سكوتهم عن هذا الأمر ، إن تسبب عنه ضرر للدين والمسلمين فذمتهم بريئة أمام الله .
- أن يتعهد الإمام شخصيا بأنه لا أذى سيصل إليهم ، ولا لدينهم أو بلادهم نتيجة هذه القصور ، فإن لم يكن بوسعه التعهد بذلك ، فإنهم بإذن الله لن يسمحوا باستمرارها ، ما دام في أخ واحد عرق ينبض أو نفس يتردد ، لأننا نفضل أن نموت جميعا ، عن أن نسكت على خطر يهدد ديننا أو بلادنا .
- أن يسمعوا تفسيرا من الإمام عن الأسباب التي جعلته يمنع المسلمين من الجهاد ونشر كلمة الله .

وقد طلب عبد العزيز المزيد من الأسئلة ، وكرر ذلك ثلاث مرات ، فردوا عليه بأنهم قد قالوا كل ما عندهم ..

وهنا قال ابن سعود إن الحصون قامت نتيجة لاعتداءات الإخوان، والبريطانيون يتهمون الدويش وأتباعه بقتل رجال البوليس "وأنا عبد العزيز لم أفعل ذلك ، وهم يقولون إنهم بنوا القصور خوفا منكم".

فتعالت الأصوات من المؤتمر تتبرأ من الدويش وتعلن الاستعداد لقتاله[1]، إذا ما تعهد عبد العزيز بأمرين:

أ- هدم المخافر التي لا مساومة فيها ، والتي تزداد قوة كل يوم "إننا نقولها صراحة .. إن ديننا وحياتنا في خطر ، والإنجليز هم البادئون بالشر".

ب- أن لا يتدخل الإنجليز بينهم وبين من يريدون معاقبته .

وفي ظل هذا المناخ الوطني و الجهادي الذي أثاره الإخوان ، أفتى العلماء بأن " القصور تشكل خطرا على المسلمين ، وبالذات مسلمي نجد ، وأن الإمام مطالب ببذل كل ما في طاقته لإزالتها ، وأن هذا الجهد ليس جهادا ، بل دفاعا عن الدين ".

---

(١) يذكر عبد الله الزامل أن الإخوان قالوا : " إنا نبرأ إلى الله من عمل الدويش ، وتعلم أننا قاطعنا الدويش ومن غزا معه ، وحرمنا ما حرم مشايخنا من كسبهم ، وتذكر أننا أتينا إليك ، وأخبرناك أننا على استعداد لمهاجمة الدويش وأعوانه .. " . أنظر ، عبد الله العلي المنصور الزامل : أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود . بيروت ١٩٧٢م، ص ٦٢.

ومعروف أن الفتاوى السابقة ، جعلت الجهاد من حق الإمام وحده ، أما الدفاع ففرض عين على كل مسلم-، وهذه الفتوى بالطبع برأت موقف الإخوان من شق عصا الطاعة ، بل جعلت غاراتهم على الحصون دفاعا عن الإسلام وبيضة الإسلام ، ولا تحتاج لإذن الإمام ، ولعل هذه هي القاعدة الشرعية التي استند إليها الإخوان فيما بعد في هجومهم وغزواتهم ضد العراق والكويت ، وهي أيضا التي جعلت ابن سعود يمتنع عن قتالهم بسبب هذه الهجمات ، وينتظر حتى تحركوا خارج دائرة الفتوى ، وقتلوا المسلمين من أهل القصيم .

هذه الفتوى كانت أيضا انتصارا كبيرا للإخوان في هذا المؤتمر ، ولذا كان من الطبيعي أن يقفوا هاتفين " الله أكبر .. هل سمعت يا الإمام ما قاله العلماء .. نسألك بالله أن تقول رأيك فيما قاله العلماء " !

وقد تبين أن الجو كله ضد الإنجليز وضد هذه المخافر .. وقد رد عبد العزيز : " أقول بأن ما قاله العلماء صحيح ، وأعاهدكم على أن أعالج هذا الأمر ، أما عن موضوع الجهاد فأريد أن أتحدث فيه في مختصر .." .

وطلب الملك اختيار خمسين شخصا ليخبرهم برأيه في موضوع الجهاد ، وعندها يمكن أن يصلوا إلى قرارات لمعالجة القضية " ، وختم كلمته قائلا : " أقول لكم جميعا إنه لا حياة لنا إلا بالإسلام ، الذي يضمن حقنا الكامل في الدفاع عن حقوقنا ، فإما النصر أو الشهادة دفاعا عن ديننا و أمتنا، وألزم نفسي بذلك أمام الله".

ولا مصادر متاحة عما قاله عبد العزيز في الاجتماع الضيق للقيادات ، ولكن من الواضح أن المؤتمر تمخض عن اتجاهين..

– الاتجاه الإخواني العام ، وهؤلاء هم الذين سمعوا فتوى العلماء ، وسمعوا تعهد ابن سعود بإزالة المخافر ، ومن ثم استمروا في قناعتهم بصوابية موقفهم ، واستأنفوا الهجوم ثم التمرد.

– اتجاه الأغلبية من غير الأخوان وبعض قيادات الأخوان ، التي اقتنعت بتفسيرات عبد العزيز، والتي رأت أن الالتفاف حول الإمام أضمن لمصالح الدين والأمة[1].

هكذا وقف الصانع و صنيعته أحدهما في مواجهة الآخر ، ومع هذا فإننا

---

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٦٢٤-٦٢٨.

نجد أنفسنا – أغلب الوقت – أمام حالة استثنائية ، تؤكدها المواقف التالية :-

١- رأينا مآخذ الأخوان علي ابن سعود في مؤتمر الرياض ، وتنفيذا لتوصيات العلماء ، كما وضحتها الفتوى ، بدأ ابن سعود في الحال في تنفيذ هذه التوصيات ، وبلغ به الأمر منع استخدام الراديو والمبرقات في أجزاء معينة من المملكة ، مع أن العلماء لم يمنعوا بالتحديد استخدامها.

وبعمله هذا كان ابن سعود يأمل بإرضاء الإخوان، وإزالة أسباب شكواهم، أو على الأقل إرجاء يوم التمرد ، والذي تشير الدلائل إلى حتمية حدوثه . وعند انفضاض الاجتماع عبر قادة الإخوان والأفراد – مرة أخرى- عن ولائهم مظهرين طاعتهم بمصافحة الإمام ، وبطريقة بدو " نجد " بالسلام عليه ، وتقبيل رأس أنفه قائلين : " عاهدناك على الطاعة في القول والعمل " . ومع هذا فإن أيا من هذه الأعمال الإيجابية لم يرض الإخوان ، فبعد قليل من انفضاض الاجتماع أعاد الإخوان غاراتهم ضد القبائل في الحدود العراقية[١].

٢- يرى جون حبيب أن موقف ابن سعود من غارات الإخوان على الحدود العراقية ، وغارات الطائرات البريطانية على قرى نجد ، كان غريبا وغير متسق. فبينما كان ابن سعود من جانب يرفض هذه الاحتجاجات باحتجاج مضاد مؤداه ؛ أن الإخوان قد تم استفزازهم ، فإنه على الجانب الآخر يرسل رسالة خاصة إلى الإخوان يؤنبهم على تنفيذ الغارات غير المصرح بها ، وفي بعض المرات يقبل ابن سعود الاحتجاجات واعدا بتأديب الإخوان عليها ، بينما سريا يعبر للإخوان عن سعادته لنشاطات غاراتهم . وكان دافع ابن سعود لهذا السلوك المزدوج بكل المقاييس مقصودا ، فهو كان يرغب في تجنب المواجهة الصريحة مع البريطانيين ، وفي الوقت نفسه حريص على وضع الحد الأقصى من الضغط على الحكومة العراقية المتأثرة بالشريف حسين ، وعلاوة على ذلك فإنه يريد أن يتجنب عصيان الإخوان المسلح دون أن يطلق لهم العنان، وكانت هذه سياسة شعرة معاوية المشدودة باتزان والتي نجحت لبعض الوقت[٢].

٣- يرتبط بما سبق تضارب آخر ، فقد عاقب ابن سعود من تبقى من الإخوان عقابا صارما[٣] عندما هاجموا شرق الأردن (سبتمبر ١٩٢٢) دون إذن منه ،

---

(١) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ١٦٦.
(٢) نفسه ، ص ١٧٠.
(٣) كان ذلك في شهر سبتمبر من عام ١٩٢٢، وبعد فترة قصيرة من ضم حائل إلى ملك ابن سعود ، حيث قامت قوة مكونة من الإخوان بزحف عسكري قياسي ، بدأ من وسط نجد إلى=

وكان قد تغاضي عن الإخوان الذين هاجموا القوات الكويتية في حمض (أوائل عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) برئاسة فيصل الدويش[١] مع أنهم ارتكبوا نفس الخطأ .

٤- يذكر محمد المانع أن العراقيين والبريطانيين نظروا إلى موقف ابن سعود من هجوم الإخوان على حدود العراق بارتياب ، وأصروا على أنه لابد أن يكون مؤيدا للغزاة ، أو على الأقل لا يريد أن يبذل أي جهد لإيقافهم . وما زلت أذكر أن أعضاء في ديوان الملك نفسه كانوا يعتقدون أنه كان يعد العدة للاستيلاء على العراق . لكن كما اتضح فيما بعد لم يكن لدى الملك مثل تلك النية ، وفي ذلك الوقت تقريبا وجهت الصحف العراقية كثيرا من الدعاية العدائية الموجهة ضد النجديين ، وتعمدت الإشارة إلى معركة سابقة هزم فيها النجديون على أيدي العراقيين ، وقد أقر الملك بذلك ، لكنه أضاف قائلا : " دعوا البريطانيين يقفوا على الحياد ، وسوف ننهى الأمر بيننا بالقوة " ، فتوقف العراقيون عند ذلك الحد، لكنهم أرسلوا وفودا غاضبة إلى الرياض ، وساد الجو توتر عام من جراء قعقعة السلاح[٢].

٥- يذكر المانع – أيضا – أنه أثناء انعقاد الجمعية العمومية في الرياض (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) كان اتباع سلطان ابن بجاد يسيرون في

=قلب الأردن محدثين فوضى شاملة ، مما حدا بالبريطانيين بمطاردة الإخوان بالطائرات والسيارات المصفحة العسكرية ، بحيث لم يبق من الإخوان إلا ثمانية ، عاقبهم ابن سعود عقابا شديدا للقيام بهجوم غير مصرح به (جدير بالذكر أن بنوا ميشان يذكر أن ابن سعود أعدم الثمانية ليلقي على وحدات الإخوان الأخرى درسا في وجوب طاعته وعدم الخروج على إرادته). انظر ، بنوا ميشان : المرجع السابق ، ص ١٦٥، وانظر أيضا جون حبيب : المرجع السابق ، ص١٧٤.

(١) في أوائل عام ١٣٣٨هـ ، أذن ابن سعود لأحد رؤساء عرب مطير بإقامة هجرة على ماء "قرية " ، فاحتج حاكم الكويت بأنها تابعة له ، وجهز قواته لهدم الهجرة بالقوة ، فاستنجد أهلها بفيصل الدويش ، الذي هاجم قوات الكويتيين ، وفتك بها وغنم جميع ما معها وعندما جرى الصلح قال ابن سعود : " أما اعتداء الدويش وهجومه فليس لي فيه يد ، وها أنذا أبعث لإحضار الأموال التي أخذها الدويش وجميع الأسلحة لترد إلى أهلها .." أنظر ، سعود بن هذلول : المرجع السابق ، ص ص ١٢٢-١٢٤.

جدير بالذكر أن خالد محمد السعدون قد نشر رسالة من ابن سعود إلى شيخ الكويت في يوليو ١٩٢٠م جاء فيها : " إنني لم آمر أو أود بقيام الدويش بالهجوم ، ولكني لا ألومه ... إني أنصحك بقبول إنذاري ، وتوقيع الورقة المرفقة وإلا فسأهاجمك حين تزعجني ثانية " . أنظر خالد محمد السعدون : العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ / ١٩٠٢-١٩٢٢م . الرياض ١٩٨٣، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ص ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) محمد المانع : المرجع السابق ، ص ١١٩.

شوارع الرياض وهم يهتفون: "لقد ظهر للدين سلطان جديد ."وقد هز ذلك رجال المدينة فأجابوهم: "إنكم تدعون أنكم مسلمون أتقياء ، والمسلم لا يمكن أن يكون متكبرا مثلكم". لكن الإخوان لم يخالجهم أي حياء في ذلك ، وردوا عليهم بطريقتهم المعهودة "المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف"[1].

٦- هناك أيضا ما يذكره محمد المانع ، من أن ابن سعود زار الأرطاوية هجرة فيصل الدويش وحياة مضيفوه بقولهم : " إن ثوبه كان أطول مما ينبغي ، وجاءوا بمقص ، فأزالوا منه ما زاد عن الحد المعتاد ، والملك لا يزال مرتديا الثوب " ، فلا اعترض الملك ، ولا اعترض الحاضرون من رجال الدين .

٧- يذكر الزركلي أن ابن سعود كان مترددا في ضرب الدويش بعدما هاجم المخفر ، لأنه لم يعلن العصيان . وهو في نظر الإخوان متطوع للجهاد ، كما أن الدويش وإخوانه من أقوى العناصر في جيش ابن سعود ، فهل يقاتلهم من أجل فعلة ، كان أكثر المشتركين فيها مندفعين بحسن نية ؟[2]

٨- هناك ما يذكره محمد المانع عن تشكيل القوات قبل معركة " السبلة " ، مما له دلالته ، فيذكر : " أن جيش الملك قد ازداد شيئا فشيئا طوال الأيام الثلاثة السابقة ، حيث وصل إليه الموالون من رجال القبائل والمدن المجاورة ، الذين كانوا تواقين إلى زيادة حجم قوات جلالته ، وإنقاص موارد خزينته في وقت واحد . فقد كان يدفع إلى كل رئيس قبيلة التحق به ستة جنيهات ذهبية ، وإلى كل فرد من رجال القبيلة أو سكان المدن ثلاثة جنيهات . ولعله من الصعب تحديد الحجم الذي وصل إليه جيش الملك حينذاك بدقة ، ولكني أقدره بين ثلاثين وأربعين ألف رجل . أما جيش الإخوان فكان أقل من ذلك بكثير . إذ لا يزيد على خمسة عشر ألفا . بل من المحتمل أنه لم يكن أكثر من عشرة آلاف رجل . لكن رجال الإخوان كانوا محاربين أشداء عركتهم التجارب ، فأصبحوا شجعانا ذوي عزيمة لا تلين . وكان جيش الملك الذي تكون بسرعة قد احتوى على كثير من الرجال الذين كانت تجاربهم في حرب الصحراء قليلة أو غير موجودة . ومن هنا كان تهيبنا من المعركة ، لأن الموقف كان أبعد من أن يكون مضمون النتيجة . وقد لا يأتي مساء اليوم التالي إلا وكلنا موتى ، أو هاربون أمام جيش

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٢٠.
(٢) الزركلي : المرجع السابق ، ص ١١١.

الإخوان المنتصر"[1].

ودون أن نتوقف عند مصدر الأموال ، فإننا نرى أن الوصف بهذا الشكل يوحي بأن الصراع كان بين جيشين أحدهما أكثر عقيدية ، والآخر أكثر ارتزاقا .

٩- اتصالا بالنقطة السابقة ، يذكر جون حبيب أن ابن سعود استعان في صدامه مع الإخوان بالإنجليز لكي يمدوه بالسلاح . فطلب منهم على الأقل (٣٠٠٠) بندقية طراز لي أنفيلد ، و(١٠٠٠) صندوق ذخيرة ، بالإضافة إلى ناقلات جنود لترحيل (١٠٠٠) رجل من جدة إلى العقير[2].

كل ما سبق يؤكد حالة استثنائية ، استمرار الارتباك حتى أثناء الاشتباك ، واختلاط الأوراق ، مما يؤكد أننا لسنا أمام ثورة أو تمرد ، أو إصرار أو ترصد بالمفاهيم المتعارف عليها ، وإنما أمام موقف كل طرف فيه على قناعة بصوابية موقفه ، بل إننا نزعم أن من يرصد تلك الأحداث - بحيدة - ويردها إلى ظروفها التاريخية ، يقع - لابد - في نفس الحيرة ، وندلل- من جديد - على هذه الحالة الاستثنائية بمواقف جديدة :

١- قبل اندلاع معركة السبلة بساعات قلائل ، زار الدويش معسكر ابن سعود لتجنب اندلاع الحرب ما أمكن ، ويذكر محمد المانع - وكان شاهد عيان - أن الملك والدويش استقبلا مكة وصليا صلاة المغرب ، ويضيف " .. لقد كانت تلك لحظة مهمة ومثيرة لنا جميعا ، خاصة جلالته الذي كان يدعو الله بحرارة أن يتم اجتناب الحرب " ، ولما حاول الملك إقناع الدويش بتسوية الخلاف عن طريق طرح الموضوع برمته على محكمة شرعية ، أجابه الدويش بقوله :

"سأتحدث مع ابن بجاد ، وقد نعود غدا ، لكني أنذرك بأننا إذا لم نعد ، فإن غيابنا يعني الحرب"[3].

٢- يذكر محمد المانع - أيضا - أن معركة " السبلة " لم تدم أكثر من نصف ساعة ، وقد يبدو غريبا أن يرى الإخوان المشهورون بالشجاعة يهربون بدلا من أن يصمدوا ويحاربوا ، لكن ينبغي أن يعلم أن القتال حتى آخر رجل لم يكن أبدا من تقاليد حروب الصحراء . فقد كان من المعتاد والمقبول جدا الانسحاب من ميدان المعركة متى أتضح أن رياح الحظ قد بدأت تهب لمصلحة العدو . وكان

---

(١) محمد المانع : المرجع السابق ، ص ١٤١.
(٢) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ١٩٢.
(٣) محمد المانع : المرجع السابق ، ص ص ١٣٩-١٤٠.

للمرء أن يعيش ليحارب في يوم آخر ، كما كان من السهل على القوة المنهزمة أن تتجمع مرة أخرى . وكان الرجل الذي يفضل أن يبقى ويحارب في مثل تلك الظروف يعتبر غبيا أكثر مما يوصف بالشجاعة . ونتيجة لذلك فإن عدد الإصابات في حروب الصحراء لم يكن في العادة عاليا[1].

وإذا كان محمد المانع يرد الأمر إلى فارق التسليح لصالح ابن سعود فإننا نرد عليه ؛ بأن نفس الأسلحة كانت مع قوات الشريف حسين يوم اجتاحها الإخوان ، لكن الموقف مختلف الآن ، لقد خامر الكثير من الإخوان الشك في صحة ما يقاتلون عليه[2].

٣- بعد معركة " السبلة " ، و بعد خروج الدويش على ابن سعود ، دارت مراسلات بين الطرفين ، تؤكد هذه الحالة الاستثنائية ، ونعرض رسالتين :

الرسالة الأولى من الدويش إلى الأمير سعود بن عبد العزيز ، وهذا نصها[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن سلطان الدويش إلى الأخ المحترم الأمير سعود بن الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

خطابك وصل وما فيه عرف . بخصوص نصحك لي بأن أخضع لأوامر أبيك الإمام ، فلابد أن تتأكد أن عين مطلوبي هو تلبية أمرك ، وخاصة بعد عطف أبيك نحوي بعد معركة " السبلة ".

وبالله فأنا راغب في تقديم مالي وما أملك لإرضائه ، لولا أمرين يجعلان هذا الأمر صعبا علي وفوق طاقتي .

أولهما: إجباري على رد المنهوبات .

وثانيهما: وهو الأصعب.

لقد غزونا المشركين والناكثين للعهود الذين بنوا القصور ، وحرضوا رعاياكم على التمرد عليكم ، ولقد عرفت أباك بكل هذا . وهذا هو خلاف

---

(١) نفس المرجع ص ص ١٤٥-١٤٦
(٢) محمد جلال كشك المرجع السابق ، ص ٧٠
(٣) نفسه ، ص ص ٦٧٩-٦٨١

الإخوان ضد أبيك . أما ما عدا ذلك فكل مسالككم مقبولة منا حفظكم الله .

- المنهوبات ضاعت وليس لدي منها شئ ، وقد خطر ببالي ، كما أدخل الناس في روعي ، أن هذا المطلب ليس إلا شرك للإيقاع بي ، وأنكم إما ستقتلونني أو تسجنوني ..

- يا سعود .. لقد تركت البادية ومشيختي وضحيت بثروتي في طلب عطايا الله ومحاربة المشركين ، فإذا كنت تريد أن تكفنا عن محاربة الكفار ، وإذا ما ارتكب أحدنا هفوة ، قتلته أو سجنته ، فهذا هو الظلم والذل لرعاياك ، الذين قد ينفضون من حولك ، ويشكون في إيمانك ، ويجزمون أنك تعارضهم في دينهم وتدهن مع النصارى . والنصارى ، وتابعهم فيصل ، ما قصروا قدر جهدهم في الكيد لكم ، فكل من ذهب إليهم من أهل نجد قووه وأكرموه وحثوه على شق عصا الطاعة على آل سعود ، ومنوه بأنه سيعطي كذا وكذا ، وقد بلغتكم ذلك في وقته .

- وأكبر دليل أنك تعرف أن ابن صباح لا يساوي جناح بعوضة لا عند النصارى ولا عند العرب . ومع ذلك أعطى ابن مشهور أسلحة وذخائر وأموالا ، واتصل بالعجمان وأخبرهم أن لهم ما شاءوا ، ووعد بتلبية طلباتهم، وفي حالة مطاردة ابن سعود لهم فإن أرضه مفتوحة لهم ليدخلوها، وأنه سيخاطب النصارى لمصلحتهم .

ويجب أن يكون في علمك وخاطرك أن النصارى يريدون فتنة رعيتك لكي يظهروا عليك ، و"صاحب الكويت" يخضع لأمرهم ، وأنا أتسلم في هذه الأيام وعودا مغرية من العراق والكويت إذا ما انفصلت عنك .

وقد منعتني أيضا من غزو البدو، وهكذا أصبحنا لا مسلمين نحارب الكفار، ولا أعرابا بدوا يغير بعضنا على البعض، ونعيش على ما ينهبه كل منا من الآخر. فمنعتنا من ديننا ودنيانا.

حقا لقد فعلت ما بوسعك من أجلي وعشيرتي .. ولكن ماذا عن قبائلي .. أين يذهبون ؟ إنهم سيهلكون ، وكيف سترضى بذلك ، في الماضي كنت تصفح عن مسيئنا ، ولكنك الآن تعاملنا بالسيف ، وتعفو عن النصارى ، تغمض عن كفرهم وعن القلاع التي بنوها لتدميرك ، ولذا أصبحت خائفا وغادرت "الأرطاوية" إلى "اللصافة". فإن أردت أن نبقى في طاعتك فانظر في أمورنا.

نريد منك ثلاثة أشياء يعدنا بها أبوك في العفو إذا وافق الشيوخ[1]، وتتعهد أنت بها يا سعود :

أولا : أن ننسى الماضي.

ثانيا : إطلاق سراح السجناء من الجانبين.

ثالثا: السماح لنا بمقاتلة الكفار ، على أن يرافقنا واحد منكم يا أولاد عبدالعزيز، فسنواصل طاعتكم ، فإذا قتلنا لا نبالي ، ولو انتصرنا كان ذلك لكم ، كما فتح إخواننا من أهل الغطغط الحجاز فأصبح لكم وباسمكم .

فإذا رضيت بهذه الأمور ، فأنا أعدك بأن أكون خادمك وعبدك ، ونطلق يدك في مالنا ودمنا ، وسيعدك إخواننا السجناء بنفس الوعد . قومك هم أهل نجد، فلا يخدعك من حولك .

أما عن البدو فإنهم عندما يرون معاملتك لنا ، ويرون كيف يستقبل الكفار هؤلاء الذين يهربون منك ، فوالله لن يبقى منهم أحد حولك ، وأنت تعلم أن خيرهم دينا وأقربهم إليك ، هم أولئك الذين قتلتهم وسجنتهم .

فإذا كنت راغبا فينا فابعث إلينا أحد العلماء المعروفين ، وأطلق سراح السجناء في الرياض ، وأقسم بالله أنه في هذا الاجتماع بين العجمان ومطير وغيرهم ، أننا سنهاجم المشركين قبل أن نأتي إليك .

مازلت آملا فيكم ، وأعرف حب أبيك لرعاياه ، وحبه لمسامحتهم فهو حكيمنا نحن العرب ، فأعطنا أمانا خاصا يضمن سلامة العجمان وابن مشهور ، وكل الذين معه وانس الماضي .

نسألك بالله أن لا تصدنا أو تبعدنا خائبي الرجاء ، أو تحرمنا من ودك ونعمة الإسلام ، وتجبرنا على التوجه للنصارى الذين نبغضهم ويبغضونا .

فإذا وافقت يمكنك اختيارنا لأي عمل وسترى ما نفعل ، وإن وقعت حادثة أخرى، فافعل ما شئت .

بالله لقد تركنا عشائرنا تبكي .. النساء يبكين .. ونحن نبكي ..
سعود يا أخي لا تسلم محبيك لأعدائك .
وإذا سمحت فأرسل الرد سريعا ، وتنبه لأمر واحد ، أن أعداء دينك لن

---

(١) يقصد ابن سعود .

يساعدوك.
عبدالعزيز يرسل تحياته[1].
والسلام رجاء للشيوخ وأولاده

فيصل الدويش

ويتضح من الرسالة ما يلي:

- أنها كانت ردا على رسالة من الأمير سعود إلى الدويش ينصحه فيها بالخضوع لأبيه درءا لما لا يحمد عقباه .

- بدأت الرسالة بالتودد " .. إلى الأخ المحترم " ..و انتهت بالتودد والرجاء " ... بالله لقد تركنا عشائرنا تبكي .. النساء يبكين .. ونحن نبكي .. سعود يا أخي لا تسلم محبيك لأعدائك " .

- اعتراف الدويش بإمامة ابن سعود .

- اعتراف الدويش بعطف ابن سعود نحوه بعد معركة " السبلة ".

- الخلاف الأساسي بين الإخوان وإمامهم أنه يكفهم عن محاربة أعداء الدين.

- أكثر من هذا – وإن طرحه الدويش تلميحا لا تصريحا – فإن منهم من كان يشك في إيمان ابن سعود ، وأنه يعارض الإخوان في دينهم ، ويدهن مع النصارى ، وقد يكون هذا مبررا لهم ليسلكوا نفس المسلك فيما بعد[2].

- لم تشر الرسالة إلى الإنجليز ، وإنما أشارت إلى النصارى والكفار . وهذا يتسق مع النقطتين السابقتين .

- أشارت الرسالة إلى صعوبة رد المنهوبات ولم تشر إلى الصعوبة الأكبر ، وهى تطبيق الشرع .

- تشير الرسالة إلى جهات كثيرة كانت تحاول جذب الإخوان كيدا لابن سعود، منذ بداية الأزمة بينهم وبين الملك .

- تشير الرسالة إلى مأزق حقيقي وجد الإخوان أنفسهم فيه " .. فلا هم مسلمون يحاربون الكفار – كما علمهم ابن سعود ومطاوعته – ولا هم بدو

---

(١) ابن فيصل الدويش .
(٢) أنظر، عمر أبوالنصر: سيد الجزيرة العربية "ابن سعود"، بيروت ١٩٣٥، ص ١٤٦.

يغير بعضهم على بعض " .

- في قول الدويش " .. في الماضي كنت تصفح عن مسيئنا ، ولكنك الآن تعاملنا بالسيف ، وتعفو عن النصارى " ما نظنه إشارة إلى تغاضي ابن سعود عن بعض هجمات الإخوان على أعدائهم بغير إذنه ، ومعاقبته لهم عن بعضها الآخر ، مما مثل حيرة للإخوان .

- اتصالا بالنقطة السابقة ، في الرسالة إشارة ، من طرف خفي إلى فضل الإخوان ، ممثلين في أهل الغطغط – على سبيل المثال – في تكوين دولة ابن سعود .

- رغم الرسالة الودودة ، فقد بقي الموقف كما هو ، إذ طلب الدويش ثلاثة أمور كان اللاحق منها أصعب من السابق . حيث تنتهي بالمستحيل ، وهو أن يسمح لهم بمحاربة " الكفار " . هيهات ! فقد سدت في وجههم الطرقات .

- الرسالة تحتاج إلى تحليل نفسي أكثر من التحليل التاريخي ، ولا تعارض . أنظر إلى قول الدويش " .. نسألك بالله أن لا تصدنا أو تبعدنا خائبي الرجاء، أو تحرمنا من ودك ونعمة الإسلام ، وتجبرنا على التوجه للنصارى الذين نبغضهم ويبغضونا ". إنها تحمل رجاء ، وتحمل تهديدا .. وتنظر بأمل ، وتراه بعيدا .. وتتجه إلى من تنهى عنهم ، وتنهى عما تهدد به . إنها – كما قلنا – حالة استثنائية في التاريخ .

أما الرسالة الثانية فمرسلة من ابن سعود إلى فيصل الدويش ، وفيها يقول:

"أما بعد : فقد وصلني كتابك مع وفدك ، وفهمت ما انطوى عليه من مقاصد ، وما ترمي إليه من أغراض لا تخفى على ، وهى على ما أظن تشتمل على ما يأتي :

أولا : الالتجاء إلى بعد ما سد الله في وجهك جميع الطرق ، وأراك الله عجزك ، وأنزل بك مقته ، فلم تبق لك حيلة تحتال بها إلا اللجوء إلى .

ثانيا : تريد المكر لتقول للناس ، بعد ذلك ، إذا أردت أن تمكر بي مرة ثانية ، إني أفعل ما أشتهي ، ثم أركب لابن سعود أنال منه ما أريد .

ثالثا : الذي طلبت المزيد من مساعدتهم ولم يمدوها إليك فقلت لهم : إذا لم تعطوني مطلبي فسأمضي إلى ابن سعود وأصالحه ، ثم أغير عليكم ، وأفعل بكم ما أريد .

رابعا : تريد بحيلاتك يا فيصل الدويش غيظ المسلمين الذين قتل بعضهم بعضا في سبيلك إن عفوت عنك ، وقد كنت أحب أن لا يصلني كتابك ووفدك ، قبل أن أضربك الضربة القاضية ، أما وقد جاءني كتابك فلا بأس أن أعطيك الأمان لتقوم الحجة عليك ، وإن كان عندك بقية من الشر تستطيع أن تتمادى فيه ، فالله خير كاف ، وإلا فأقبل أنت ومن معك في وجهي وعليكم أمان الله على دمائكم"[1].

ولنا على هذه الرسالة بعض الملاحظات:

– يلاحظ خلو الرسالة من أية إشارة إلى تطبيق الشرع فيمن " جعل المسلمين يقتل بعضهم بعضا " ، أو حتى إلى رد المنهوبات كما في رسالة سابقة ، مما يشتم معه أن الأمر تحول – في مرحلة من المراحل – إلى محض سياسة ، أو صراع على السلطة ، أو صراع من أجل البقاء ، أو التمكن من السلطة في جانب ، والحفاظ على الحياة في جانب آخر .

– يظهر بين الرسالتين تناقض ، فقد ذكر ابن سعود أن الطرق قد سدت في وجه الدويش ، وزعم الأخير بغير ذلك ، بدليل انه لم يأت إليه بعد أن أعطاه الأمان ، وحقيقة الأمر أن الطرق لم تكن قد سدت بعد في وجه الدويش لحظة كتابة هذه الرسالة .

– يتضح من الرسالة أن ابن سعود قد أمن الدويش ومن معه على حياتهم قبل أن يشترط عليه البريطانيون ذلك ، كشرط من شروط تسليم زعماء الإخوان لابن سعود[2].

من كل ما سبق تتضح الحالة الاستثنائية التي أكدناها أكثر من مرة ، والتي صاغها محمد جلال كشك في إشكالية " الثورة أم الدولة ! " . فكل الجيوش التي كانت لها مهمة سياسية من خلال تربية عقائدية ، لابد عقب النصر من دخولها في مواجهة مع القيادة المدنية . فإما أن يتولى العسكر السلطة ، ويصبح الجيش هو الطريق إلى الحكم ، أو تصفي القيادة السياسية العسكر المنتصر. حدث هذا في الصين وفي إسرائيل وفي جيش التحرير الجزائري وفي روسيا . وفي كل الثورات ، فإن الخلاف يبدأ عندما يصل الخط البياني إلى نقطة الذروة ، عندها يحدث الانشقاق ، ويبدأ الانفراج الذي يظل يتسع بانحداره من القمة إلى القاعدة

---

(١) سعود بن هذلول آل سعود : المرجع السابق ، ص ص ١٩٧–١٩٨.
(٢) جون حبيب : المرجع السابق ، ١٩١.

حتى يتحول إلى صدع[1].

لكنه يربط الانفجار هنا بالإنجليز ، فلولاهم ربما أمكن الحوار داخليا، حتى ولو بعنف ، ولكن في إطار الوحدة ، ومع بقاء كل الأطراف ، وإن تعدلت نسبة تأثيرها في صنع القرار . ويستدرك " ... على أية حال ليس من حقنا نحن الذين لم نساهم في الثورة ، ولا شاركنا في مسئولية القرار التاريخي بتصفيتها ، ولا يجوز لنا أن نوزع الأحكام والاتهامات وندين رجالا لأنهم أرادوا الاستمرار في الجهاد ، ولأنهم تخوفوا من تحول الرسالة إلى 'ملك . لقد بعث ابن سعود أحد رجاله ليرصد موارد هؤلاء المتمردين ، ولمس بنفسه كيف كان الإنجليز يقدمون الدعم لقيادتهم ، ولكنه لم يستطع أن يخفي حسرته على قواعدهم ، وهو يسمع تسبيحهم وتكبيرهم في الليل مقتنعين بأنهم يموتون في سبيل الله ، وضد الانحراف في الدعوة .

إنهم على أسوأ الأحوال مثل الخوارج ، الذين كانوا من أتقى الناس وأكثرهم عبادة حتى قيل إنه ما من خارجي قتله أو صلبه الإمام إلا وزبيبة الصلاة في جبهته ولكنهم أخطأوا الاجتهاد فنالهم سيف الدولة الإسلامية ، لا يجوز أن نحرم هذا الجيل الخالد في تاريخ العرب من النعمة التي منحها لنا الإسلام وهي للمجتهد إن أخطأ أجر وإن أصاب أجران ، ولا نملك أن نحرمه .

لقد كانت فتنة بين طائفتين من المؤمنين ، لم يجدا من يصلح بينهما فعسى أن تكون إحداهما قد فازت بأجر ، وفازت الأخرى بالأجرين[2].

ونحن نتفق في المنظور العام مع هذا الطرح ، الذي أنصف الإخوان لأول مرة ، غير أن لنا بعض الملاحظات :

- لابد أن نفرق هنا بين القيادة والقاعدة في تنظيم الإخوان ، ومن خرج من القادة ومن لم يخرج على ولي الأمر . فعلى سبيل المثال لم يشترك بعض المتمردين في معركة " السبلة " ، وكثير من الإخوان في الهجر استخدموا لضرب التمرد أو الثورة ، أو بمعنى أخر لضرب إخوانهم .

- بناء على منطلقات التجربة قد يكون مبررا مهاجمة الإخوان للمخافر على الحدود العراقية ، لكن لا يمكن تبريرمهاجمة بعض الإخوان لتجار" القصيم

---

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٦١٦.
(٢) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٦٥٣-٦٥٥.

"وقتلهم واستباحة أموالهم . هذه الحالة الأخيرة – بالذات – لا ينطبق عليها المنحة التي تحدث عنها محمد جلال كشك "للمجتهد إن أخطأ أجر ، وإن أصاب أجران".

– نتفق مع الشيخ محمد بن ماجد بن خثيلة – الذي التقى به محمد جلال كشك – والذي قال: "إن الملك علمهم أن الإنجليز كفار ، فكرهوا كل تعامل معهم.. وأن أباه قاتل مع ابن بجاد في معركة " السبلة " .. وفسر الأزمة بأن الملك هو المسئول ، لأنه علمهم أن المسلم لابد له من محاربة الكفار ، فلما جاءت مرحلة التعايش مع الكفار ، لم يستطع تغييرهم"(١). ونحن نعدل قول ابن خثيلة بقولنا: بل لم يصبر على تغييرهم .

وفي النهاية يمكن أن نبلور رأينا في تجربة الإخوان – بحالها –على النحو التالي :

– بناء على شهادة أخي الملك ، فإن التحرك إلى هجر في جوف الصحراء – حيث توجد آبار مياه – بدأ بدون توجيه من ابن سعود ، وإن خضع الأمر برمته لتنظيمه بعد ذلك .

– لم يكن تنظيم الإخوان في هجر بهذا الشكل وليد الفترة أو المنطقة ، فقد سبقت الزوايا السنوسية – تكوينا ودورا – الهجر السعودية بزمن ليس بالقليل، كما أسلفنا ، وإن تعاصرا – تقريبا – في فترة تحقيق الإنجاز ، ونقصد بذلك مساهمة إخوان الهجر في تكوين الدولة السعودية ، وتحمل إخوان الزوايا السنوسية عبء الدفاع عن ليبيا ، بعد تخلي دولة الخلافة عن هذا الدور .

– لم يكن تنظيم الإخوان توطينا أو إصلاحا اجتماعيا ، والقول بذلك يفترض فينا السذاجة التي افترضها صاحب هذه الفرضية(٢) في البدو ، الذين تحولوا إلى حركة قال عنها صاحب التجربة ، ابن سعود: "إنها أنقى حركة دينية معاصرة".

– إرجاع ثورة الإخوان إلى رفضهم أساليب الحضارة الجديدة فيه تجن واضح، وقد رأينا كيف أن إقناعهم كان من السهولة بمكان ، وأنهم كثيرا ما كانوا ينزلون عن آرائهم من أجل "خاطر الإمام" والتزاما بفتوى رجال الدين . ألم يكن

---

(١) محمد جلال كشك : نفسه ، ص ٧٠٦ .
(٢) عبد الفتاح حسن أبو عليه .

شعارهم "حط بينك وبين النار مطوع"[1].

– القول باستغلال ابن سعود للإخوان، ثم تصفيتهم بعد استنفاذ أغراضه منهم، فيه تجن أكبر، وقد فندنا هذا القول في ثنايا البحث، ونزيد هنا بقرائن جديدة، منها:

أ– عفو ابن سعود عن فيصل الدويش .

ب– أن ابن سعود لم يقاتل الإخوان إلا عندما قطعوا طريق المسلمين .

ج– أن ابن سعود ظل لآخر لحظة يحاول عدم الاصطدام بهم .

د– لم يعلن الإخوان في أية لحظة أن ابن سعود ليس قائدهم أو وليهم الشرعي.

هـ– ظل ابن سعود طوال حياته لا يسمح لأحد بأن يذكر الإخوان بسوء في مجلسه .

– يؤكد النقاط الثلاث السابقة – مباشرة – أن الإخوان بقيادة ابن سعود أوجدوا واقعا جديدا، عبر عنه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، حين كتب عدة مقالات عن حركة الإخوان، بين سنتي ١٩٢٢– ١٩٢٤، وتكهن بأنه إذا استمر نمو الحركة السريع، فسوف تحتوي كل شبه الجزيرة العربية وما حولها . وقد يتسنى لها أن تعيد التاريخ الأول للإسلام ، وأن تنفجر بزحفها على البلدان المحيطة بها في آسيا وشمال أفريقيا[2]. والجدير بالذكر أن الفزع قد ساد العالم الغربي .. إما بالغزو الإخواني أو بانتشار دعوتهم وأسلوبهم ، أو بكونهم جزءا من حركة بعث إسلامية عامة ، ففي يوليو ١٩٢٢ تحدث القنصل البريطاني عن نشاط " الدعاة " الإخوان في دمشق . وفي أغسطس ١٩٢٢ ، طلب ونستون تشرشل وزير الدولة لشئون المستعمرات من وزارة الخارجية أن تستعلم من محافظة سيناء عن انتشار حركة الإخوان في سيناء. ورد اللنبي في ١٢ سبتمبر أن قوة من ١٥٠٠ وهابي موجودة بالقرب من العقبة وتتقدم شمالا ، وأنه أصدر أمره للقوات البريطانية والمصرية بالتدخل إذا لزم الأمر " . وقالت الصحف التركية: "لا يتوقع شن هجوم سعودي على مصر ، ولكن قد يبعث ابن سعود" بمبشرين" (!) إلى عرب سيناء المصريين لحثهم على مهاجمة فلسطين" . وأبدي "صمويل" المندوب السامي البريطاني في فلسطين قلقه من انتشار الدعاية الإخوانية في

---

(١) يقابل هذا المثل عندنا قولهم : " حطها في رقبة عالم واطلع منها سالم " .
(٢) محمد المانع : المرجع السابق ، ص١١٣.

شرق الأردن . والقنصل الألماني كان يهتم بتتبع أخبار ابن بجاد ، والمخابرات الفرنسية رصدت نشاط الإخوان " التبشيري " في سوريا . والقنصل الأمريكي في اسطنبول توقع أن " يوحد ابن سعود المنطقة من الأردن إلى فارس ، وأن الانتداب البريطاني في فلسطين والأردن والعراق يتعرض لامتحان خطير " . وجاء في تقرير القنصل الأمريكي في بغداد : " أن المعلومات المتوفرة تفيد أن سلطان الدويش زعيم الإخوان المتمردين ينوى ، بعد الانتهاء من ابن سعود ، توجيه قواته إلى فلسطين[1]، وقد توقع أحد الضباط، في سلاح الطيران البريطاني، أن الدويش سيحاول نصر القضية العربية في فلسطين[2].

هذا الفزع الذي فرضه الواقع الجديد ، الذي صنعته حركة الإخوان ، كان طبيعيا أن يفرز رد فعل مضاد ، انتهى بالقضاء على الثورة الإسلامية ، ليفلت ابن سعود بالدولة الإسلامية .

– هناك محاولات للتقليل من دور الإخوان من قبل المؤرخين السعوديين. ونحن نعتقد أنه بدون الإخوان ما كان الوضع في البلاد العربية السعودية على ما هو عليه الآن ، ونجزم أنه بدون الإخوان ما كان لابن سعود أن يضم الحجاز، ونزيد بأنه لولا تحطيم الإخوان لقوة الشريف حسين في " تربة " لربما تحول الأمر إلى نقيضه . والمتتبع للمراسلات التي دارت بين الشريف حسين وابن سعود قبل الصدام بينهما ، يدرك تماما أن أقصى أمل لابن سعود ، كان التعايش في جوار مع الشريف حسين[3].

---

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ٥٧٠.
(٢) نفسه ، ص ٦٣٠.
(٣) كان الإنجليز يرسلون إعانة مالية سنوية لابن سعود عن طريق الشريف حسين ، وكان الأخير يرسلها وليس معها إلا عبارة واحدة " من جلالة الملك " ، فاحتار ابن سعود ، وخاطب الشريف حسين بشأنها في خطاب جاء فيه : " يا حضرة والدي إننا وإياك في هذه الحرب وثمرتها لنا ولك ، فقد مشت عربياننا وعشائرنا عملا بأوامرنا إلى مساعدتكم ، ولكني أبغي أكثر من ذلك ، وإني مستعد أن أرسل إليك أحد اخوتي أو أولادي ليحارب مع أولادكم ، وفي ذلك الفوز الأكبر إن شاء الله ، قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي ، فلابد إذن من التفاهم والتأمينات ، وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم ، فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدة " وسأله عن الذهب . فعجب الحسين من خطاب ابن سعود وعده تطاولا وحماقة ، فغضب عليه وسخط ، وهدده في جريدة القبلة ، وأخذ يسخر به وأجاب ابن سعود جوابا شديد اللهجة ، ويذكر ابن سعود نفسه أن الحسين قال له فيه : " إما أنك سكران يا ابن سعود وإما إنك مجنون ، أفلا تعلم لأي أمر قمنا وأي غرض نبغي ..." (أنظر أحمد عبد الغفور عطار : المرجع السابق ، ص ٤٢٢). ويذكر جوزيف كوستنر أن هدف الشريف حسين من مهاجمة " تربة " كان " قطع رأس ابن سعود ، وأن حاكم نجد اشتكى بعد المعركة من أن هذه هي الألفاظ التي استخدمها الشريف حسين بعد أن دخل ابنه الأمير=

– نعتقد أن ما ألصق بالإخوان من أعمال وحشية فيه الكثير من المبالغة ، ونستشهد بشهادة جون حبيب الذي أشار إلى أن الإخوان لم يخربوا المناطق التي دخلوها اقتصاديا ، فلم تدمر محاصيل ولم تحرق أو تخرب مدن أو قرى ، وباستثناء الحادث المؤسف في الطائف[١] – والذي لم يكن كل لومه يقع على الإخوان – فإن الإخوان قد اكتسحوا الجزيرة العربية كمبضع الجراح الذي يزيل ما هو مؤلم أو خبيث ، ويترك ما هو معافى وصحي[٢].

– بالمقارنة بين كلام الشيخ محمد بن ماجد بن خثيلة ، الذي اعتبر الملك – ابن سعود – مسئولا عما حدث من تصادم ، لأنه علمهم أن المسلم لابد له من محاربة الكفار ، وبين ما ورد في رسالة – بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٢٠– من ابن سعود للسلطات البريطانية ، والتي جاء فيها : " .. الحسين وفيصل وابن رشيد وشيخ الكويت ، كلهم يتظاهرون بالصداقة مع الإنجليز ، ولكنهم يعملون بشدة ضد مصالحهم ، ادعموني وأنا أضمن لكم منع أي عمل عدائي للإنجليز من قبلهم ، ومن ناحية أخرى إذا إستمريتم في أن تضعوني مكان أولئك الذين يخدعوكم فدعوني أعلم ، فلن أزعجكم مرة أخرى بالمراسلات . لقد أعطيتم أصدقاءكم الخونة ألقابا وأراضي غنية وأنا صديقكم الحقيقي ، بقيت فقيرا أكثر من ذي قبل"[٣]. وبالمقارنة ندرك المأزق الذي وجد الإخوان أنفسهم فيه.

– اتصالا بالنقطة السابقة ، كان التناقض بين الشعارات والممارسة ، مما أثار الإخوان ضد ابن سعود ، خاصة وأنهم كانوا متمسكين بحرفية النصوص. ألم يقصروا ثوب ابن سعود لأنه جاوز الكعبين ؟ .. ألم يجلدوا – علنا – رئيس الديوان الملكي ، وهو من هو في مكانته ، لأنه لم يؤد الصلاة مع الجماعة[٤]؟

ونسوق – هنا – مثالا للتناقض ، فابن سعود كان إذا ضبط جنديا يدخن منعه من الجهاد معه ، إلا إذا تاب وكسر السبيلة "الغليون"[٥]، في حين كان

=عبدالله المدينة " . أنظر ، جوزيف كوستنر : العربية السعودية ١٩١٦–١٩٣٦م من القبلية إلى الملكية ، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ، القاهرة ١٩٩٦، ص ٦٢.

(١) يذكر محمد المانع أن أمير الطائف نفسه أخبره أنه لم يذبح في المدينة إلا الحامية، وبعض أهل المدينة الذين حاولوا المقاومة . أما القصص المرعبة ، فقد روجها رجال الشريف حسين . أنظر ، محمد المانع : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٢) جون حبيب : المرجع السابق ، ص ٢١٠.

(٣) نفسه ، ص ص ١١٦–١١٧.

(٤) محمد المانع : المرجع السابق ، ص ١٢٤.

(٥) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص٥٧٧.

الملك نفسه يوفر لضيوفه من الأجانب – وبشكل سري – ما يحتاجونه من السجائر ، بل والسيجار " الهافاني" والمشروبات[١].

– نختلف كل الاختلاف مع جون فيلبي ، الذي رأى: "أن خلق ابن سعود لحركة الإخوان ضربة معلم عبقري ، لا يوازيها غير تصفيته لهذه الحركة بعد ثمانية عشر عاما"[٢]. حيث اقترن بتصفية الإخوان إجهاض أروع تجربة ديمقراطية مرت بها دولة عربية أو إسلامية منذ الراشدين – فيما نعتقد – [٣]، حين صعد عمر بن الخطاب المنبر يوما فقال : " يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا " ؟

فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بذراعه كأنها حسام ممشوق : " إذن نقول بالسيف هكذا " ..

فيسأله عمر : إياي تعني بقولك ..؟

فيجيب الرجل : نعم إياك أعني بقولي ..!

فتضيء الفرحة وجه عمر ويقول :

"رحمك الله ، والحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عوجي" [٤]

هذا في التجربة الأولى – تجربة الراشدين – أما في الثانية فقد خاطب خالد بن لؤي – الإخواني المعتدل – قائده ابن سعود بقوله: "يا عبد العزيز إني أقول كلمة وإن كانت تغيظك. كنا نتحدث فيما بيننا ونقول: قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة، وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه. أما اليوم فصرنا نقول: ليته ظل في بلده بعيدا عنا، فإن كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبينه لنا حتى نتبعه، وما نحن إلا خدام الشرع. وإذا كان لا قصد لك غير الشح بأنفسنا عن

---

(١) ذكر مؤلف " مولد العربية السعودية "حدوث هذا الأمر مرتين ؛ المرة الأولى حين زار ديكسون – المندوب البريطاني المقيم في الكويت – ابن سعود ، والمرة الثانية أثناء انعقاد مؤتمر العقير سنة ١٩٢٠. انظر :
Troeller , Gary : The Birth of Saudi Arabia – Britain and the Rise of the House of Sa'ud -, London. p.130.

(٢) جون فيلبي : المرجع السابق ، ص ٣٦٧.

(٣) يزيد الأسى – أكثر – على الإخوان ، إذا ما انتبهنا إلى الخطر الصهيوني : حلم إسرائيل الكبرى : إمبراطورية صهيون : ملكوت إسرائيل الثالث . انظر ملحق الدراسة ص ٥٥.

(٤) خالد محمد خالد : خلفاء الرسول (ص) ، القاهرة ١٩٩٤، ص ص ١٩٥-١٩٦.

الموت، فما من أحد يموت قبل يومه، وما نتمنى والله أن نموت إلا شهداء..."[1].

وهذا الموقف ليس فيه تجاوز ، وإلا لأعتبر الخليفة عمر بن الخطاب ما قيل له تجاوزا . بل إن الخليفة تجاوز هذا إلى حمد الله أن جعل في أمته من إذا رأى في حاكم المسلمين اعوجاجا يقومه بسيفه .

ارتباطا بالنقطة السابقة – الديمقراطية – مثل رجال الدين إطارا مرجعيا، أو "رمانة الميزان" بين الملك والإخوان. ففي مؤتمر الجمعية العمومية، وعندما أفتى العلماء بأن المخافر تشكل خطرا على المسلمين ، وأن الإمام مطالب ببذل كل ما في طاقته لإزالتها ، وأن هذا الجهد ليس جهادا بل دفاعا عن الدين ، وقف الإخوان في المؤتمر هاتفين : " الله أكبر .. هل سمعت يا الإمام ما قاله العلماء؟ .. نسألك بالله أن تقول رأيك فيما قاله العلماء !

– في مثل تجربة الإخوان السعوديين ، وقبل أن يحدث التصادم ، هل كان هناك صراع حقيقي بين الدولة والدين .. الإشكالية الأكبر ؟. ونقول – على العكس – كان هناك اتساق . وحتى عند التصادم لم يكن الحل مستعصيا ، لو صبر الملك عليهم ، أو طبق الشرع ، وتكون فتوى العلماء هي الفيصل. وعليه، فإننا نأخذ على الملك – مثلما فعل أحد رعيته – [2] قوله : " من الآن فصاعدا، سوف نحيا حياة جديدة " ، لأننا إذ نأسى على الحياة " القديمة " – كتجربة ديمقراطية إسلامية حقيقية– نعتقد أن الصراع بين الدولة والدين ، ليس صراعا حقيقيا ، وإنما هو صراع 'يفتعل أو 'يستغل ، حينما يضيق حاكم بسلطة فوقية يتصورها تنازعه الحكم ، والحقيقة أنها تمكنه – إن تمكنت منه – من الاستمرار في الحكم . ونعتقد أن غلبة السياسة على الدين – بشكل متواتر– لا يعني قصورا في الدين – ونقصد الدين الإسلامي – وإنما يعني أن السياسة – في الغالب – بلا دين.

---

(١) محمد جلال كشك : المرجع السابق ، ص ص ٦٢٠-٦٢١.
(٢) ارجع إلى صفحة ٢١٨ من هذا الكتاب.

الهوامش

أولا : المراجع العربية

-**ابن غنام** : تاريخ نجد ، ج١ ، ط٣ ، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م

– **إبراهيم عبده** : إنسان الجزيرة ، (بدون تاريخ) .

– **أحمد عبد الغفور عطار** : صقر الجزيرة ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ط٥ ، مكة المكرمة ١٩٧٩

– **أمين الريحاني** : تاريخ نجد وملحقاته ، ط٣ ، بيروت ١٩٦٤.

– **بنوا ميشان** : عبد العزيز آل سعود . سيرة بطل ومولد مملكة ، ترجمة عبدالفتاح ياسين ، دار الكاتب العربي (بدون تاريخ) .

– **جمال حمدان** : استرتيجية الاستعمار والتحرير ، القاهرة ١٩٨٣

– **جوزيف كوستنر** : العربية السعودية ١٩١٦–١٩٣٦م من القبلية إلى الملكية ، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ، القاهرة ١٩٩٦.

– **جون حبيب** : إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبد الله بن مصلح النفيعي ، الرياض ١٩٩٦.

– **حافظ وهبة** : جزيرة العرب في القرن العشرين . القاهرة ١٩٣٥.

– **خالد محمد خالد** : خلفاء الرسول (ص) ، القاهرة ١٩٩٤

– **خالد محمد السعدون** : العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ / ١٩٠٢- ١٩٢٢م. مطبوعات دارة الملك عبد العزيز . الرياض ١٩٨٣

– **خالد الهميل** : العلاقات بين الملك عبد العزيز آل سعود والأشراف ، الرياض ١٩٩٣.

– **خير الدين الزركلي** : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز . ط٥ ، بيروت ١٩٨٨.

– **سعود بن هذلول آل سعود** : تاريخ ملوك آل سعود . الرياض ١٩٦١م .

– **سنت جون فيلبي** : تاريخ نجد ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعريب عمر الديراوي، بيروت (بدون تاريخ)

- **صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربيـــة الســـعودية فـــي ماضيـــها وحاضرهـــا.** ج٢، بيروت، (بدون تاريخ) .

- **صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، الأنجلو ١٩٧٩.**

- **عبد الرحمن السبيت وآخرون : كنـــت مع عبد العزيز، إصدار المهرجان الوطنى الرابـــع للتراث والثقافة ، المجلد الأول ، ١٩٨٨م.**

- **عبد الرحمن نصر : عاهل الجزيرة ، (بدون تاريخ).**

- **عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : أمراء وغزاة ، قصة الحدود السياسية الإقليمية في الخليج.** بيروت ١٩٩١.

- **عبد العليم على عبد الوهاب أبو هيكل : العلاقات بين عبد العزيز بـــن ســـعود وجماعـــة الإخوان (١٩١٢-١٩٣٠)** رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٧٦.

- **عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعي ، الرياض ١٩٧٦.**

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث المعاصر، الرياض ١٩٨٦.

- **عبد الكريم أبا الخيل : العربية السعودية .. الكتاب الأول ، بغداد ، ١٩٥٣.**

- **عبد الله بن محمد الشهيل : فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة .الرياض ، ١٩٨٤**

- **عبد الله العلي المنصور الزامل : أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود . بـــيروت** ١٩٧٢م .

- **عمر أبوالنصر: سيد الجزيرة العربية " ابن سعود " ، بيروت ١٩٣٥.**

- **فهد المارك : من شيم الملك عبد العزيز ، ج٣، الرياض ١٩٧٨.**

- **محمد بن ناصر العبودي : الأمثال العامية في نجد ، الرياض ١٩٧٩ .**

- **محمد جلال كشك : السعوديون والحل الإسلامي . ط٣ ، ١٩٨٢.**

- **محمد رفعت عبد العزيز : العلاقات المصرية – الليبية ، رسالة دكتوراه غير منشـــورة .** معهد البحوث والدراسات الأفريقية . جامعة القاهرة. ١٩٨٦.

الأمثال مصدرا لدراسة التاريخ ، قراءة في التاريخ السعودي والتاريخ المصـــري . القـــاهرة ١٩٩٩.

- **محمد فؤاد شكري :** السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربي (١٩٤٨)

- **محمد المانع :** توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة عبد الله صالح العثيمين، الريـاض ١٩٨٧.

- **موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود :** الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، جـدة ١٩٨٢.

ثانيا : الدوريات

- **عبد اللطيف النشار :** الثقافة العسكرية وأناشيد الجيش ، مجلة الرسالة ، السنة السـابعة ، العدد ٣٣ ، بتاريخ ١٩٣٩/١١/٢٠.

- **محمد رفعت عبد العزيز :** معارك توحيد نجد تحت الدولـة السـعودية الأولـى ، حوليـة الدراسات الآسيوية ، جامعة الزقازيق ، العدد الأول ١٩٩٧.

ثالثا: المراجع الأجنبية

- **Leatherdale,Clive:** Britain and Saudi Arabia 1925-1939, The imperial oasis, London.

- **Rentz, Goreg:** King Abdul Aziz and the Ikhwan, Imam Mohamed Ibn Saud Islamic University , History of King Abd Al-Aziz December 1985.

- **Soomro,A.Dino:** The political , social and economic situation during the reign of king Abd Al–Aziz. Imam Mohamed Ibn Saud Islamic University. History of King Abd Al-Aziz . December 1985.

- **Troeller , Gary:** The Birth of Saudi Arabia – Britain and the Rise of the House of Sa'ud - , London .